

*Ali Metwally Ahmed | علي متولى أحمد

التلغلل الإيراني في شرق أفريقيا وانعكاساته على الأمن القومي الخليجي (2005 - 2014)

Iranian Involvement in East Africa: Repercussions for Gulf National Security

” تمثل القارة الأفريقية هدفاً مهماً للسياسة الخارجية الإيرانية منذ عقد السبعينيات من القرن الماضي، حين شرعت إيران – وعقب استقلال دول القارة الأفريقية – بإقامة علاقات دبلوماسية مع دول القارة. ولكن مع قيام الثورة الإسلامية عام 1979، تراجعت العلاقات الإيرانية – الأفريقية نتيجة الاضطرابات التي أعقبت الثورة وخاصة الحرب العراقية – الإيرانية، وأصابها ببرود حتى بداية التسعينيات الذي شهد عودة الاهتمام الإيراني مرة أخرى بالقاراء الأفريقية. ووصل هذا الاهتمام إلى أشدّه خلال عهد الرئيس محمودAhmedinejad، الذي وضع القارة الأفريقية على رأس قائمة أولوياته. وكانت إيران تهدف من ذلك التوجه الجديد إلى تحقيق أهداف محددة، أعدت لتنفيذها خططاً جاهزة، وهي أهداف سياسية واقتصادية وعسكرية وثقافية. وتركز الدراسة على النفوذ الإيراني في منطقة شرق أفريقيا، لما تمثله هذه المنطقة من أهمية بالغة للبلدان العربية، وذلك لوجود ثلاث دول فيها تنتهي إليها، وهي السودان وجيبوتي والصومال.“

كلمات مفتاحية: التغلغل الإيراني – العلاقات الإيرانية – الأفريقية – الأمن القومي الخليجي – شرق أفريقيا

Interest Iranian foreign policy in Africa could be traced back to the sixties of the last twentieth century, when African states attained their independence. But the Iranian African relation were weekend as a result of the Islamic revolution. Ensued and the Iranian reoccupation in her war against Iraq. But the nineties witnessed as Iranian political openness on the regional, continental and international level during the reign of present Mahmoud Ahmadinejad as he tried to rejuvenate the Iranian policy in Africa employing a pragmatic attitude in order to achieve political, economic, military and cultural ends.

So this paper concentrate on East Africa region according the following points: indication of the Iranian infiltration in east Africa, impact of the Iranian infiltration in east Africa on the national security of gulf states.



Keywords: Iranian intrusion – East Africa – Mahmoud Ahmadinejad – Arab National Security – Iranian African Relations

مناهج الدراسة

اعتمدنا في هذه الدراسة على مناهج عديدة لأجل الوصول إلى النتائج المرجوة. فقد وظفنا المنهج التاريخي الذي ساعدنا في الوقوف على أهم المحطات التاريخية في سياق تطور السياسة الإيرانية حيال أفريقيا عامة، وشرق أفريقيا خاصة. كما تمت الاستعانة بالمنهج التحليلي الذي مكّننا من الخروج برؤية حول الأهداف التي ترمي إليها إيران من توسيع علاقاتها مع دول شرق أفريقيا عامة، وإريتريا خاصة. إضافة إلى المنهجين السابقيين اعتمدنا منهج التحدي والاستجابة من خلال عرض التحديات التي واجهتها إيران - بعد أن فرض عليها الغرب عقوبات بسبب برنامجه النووي - والاستجابة الناجحة التي حققتها إيران بتولية وجهها شطر القارة الأفريقية بأكملها، لتحظى بمكانة مميزة تستطيع من خلالها تهديد الأمن القومي لدول الخليج، بل وتهديد المصالح الغربية نفسها. وأخيراً فقد اتبعنا المنهج المستقبلي، لأجل إعطاء صورة مستقبلية عن تداعيات النفوذ الإيراني في شرق أفريقيا على الأمن القومي الخليجي.

أسباب اختيار منطقة شرق أفريقيا

يرجع اختيارنا لهذه المنطقة إلى كونها ذات أهمية بالغة بالنسبة إلى البلدان العربية عامة ودول الخليج خاصة، بل وتمثل عملاً إستراتيجياً بالنسبة إليها، وترتبط بها على أكثر من مستوى، نتيجة الجوار الجغرافي، والتدخل البشري، والتفاعل التاريخي والحضاري. فهذه المنطقة جزء مهم من الوطن العربي لوجود ثلاث دول فيها تنتمي إليه، هي السودان وجيبوتي والصومال، إضافة إلى الوجود الإيراني الملموس في تلك المنطقة، الأمر الذي يهدد المنطقة العربية بأسرها. وهذا ما حفّز الباحث على دراسة يحاول فيها الإجابة عن التساؤلات التالية: ما هي طبيعة النفوذ الإيراني ومظاهره في شرق أفريقيا؟ ولماذا ركّزت الجمهورية الإيرانية على دولتي السودان وإريتريا؟ وهل نجحت الجمهورية الإيرانية في تحقيق أهدافها في تلك المنطقة؟ وما انعكاسات النفوذ الإيراني في شرق أفريقيا وتداعياته على الأمن القومي الخليجي؟ وما هي طبيعة العلاقات بين إيران وإريتريا والホوثيين في اليمن؟ وما هو موقف كل من دول الخليج وإيران من صعود الحوثيين في اليمن؟ وأخيراً ما هي الإستراتيجية الخليجية التي يجب اعتمادها لمواجهة النفوذ الإيراني في شرق أفريقيا؟

المقدمة

يرجع اهتمام السياسة الخارجية الإيرانية بالقاراء الأفريقية إلى ستينيات القرن العشرين، أي تزامناً مع حصول الدول الأفريقية على استقلالها. ولكن مع قيام الثورة الإسلامية الإيرانية وما أعقبها من اضطرابات، وانشغال إيران بحربها مع العراق، أصبحت العلاقات الأفريقية - الإيرانية بنوع من الوهن والضعف. واستمر هذا الضعف حتى بداية عقد التسعينيات الذي شهد مزيداً من افتتاح السياسة الخارجية الإيرانية على المستويات الدولية والإقليمية والقارية كافة. وبوصول التيار الإصلاحي إلى السلطة بقيادة محمد خاتمي الذي تولى الرئاسة في إيران في 23 أيار / مايو 1997، اتجه هذا النظام إلى تنشيط السياسة الإيرانية في أفريقيا، وذلك في إطار السياسة البراغماتية المتحركة إلى حد ما التي انتهتها نظام خاتمي.

وكانت إيران تهدف من ذلك التوجه الجديد تجاه القارة الأفريقية - بوجه عام - إلى تحقيق أهداف محددة، أعدت لتنفيذها خططاً جاهزة تؤديها بصفة مدرستة لتحقيقها، ومنها الأهداف السياسية. ونظرًا للضغوط الغربية والأمريكية على الدولة الإيرانية بسبب برنامجها النووي، انتهت السياسة الخارجية الإيرانية إستراتيجية جديدة تسعى من خلالها لتوسيع علاقات مع دول القارة الأفريقية، وذلك لتحسين دعم دبلوماسي أفريقي في أروقة الأمم المتحدة ومجلس الأمن لكسر طوق العقوبات الاقتصادية المفروضة على اقتصادها ونظمها السياسي.

فضلاً عن ذلك، كانت لإيران أهداف اقتصادية سعت لتحقيقها، ومنها الانفتاح الاقتصادي وجذب الاستثمارات الأفريقية إليها، وتعزيز التبادل التجاري والاتفاق على التنسيق في استكشاف الموارد الاقتصادية، في ظل احتفاظ القارة الأفريقية باحتياطيات ضخمة من المواد الخام الطبيعية. لقد أدركت إيران أن القارة الأفريقية مواتية لتسويق المنتجات الإيرانية، وتحقيق منافع اقتصادية باتباع سياسة البترول مقابل اليورانيوم الخام لضمان احتياطي كافٍ لمفاعيلها النووية. كما أن إيران مدت جسراً من الصداقة مع النiger وجنوب أفريقيا لهذا الغرض، إضافة إلى تحقيق أهداف عسكرية، وأخرى ثقافية تتضمن نشر المذهب الشيعي في الدول الأفريقية. ونظرًا لاهتمام الكبير الذي توليه السياسة الخارجية الإيرانية للقاراء الأفريقية، فإننا سنركز في هذا البحث على منطقة بعينها، وهي منطقة شرق أفريقيا. ولذا، ارتأينا أن يكون تقسيم الدراسة على النحو التالي:

- مظاهر التغلغل الإيراني في شرق أفريقيا.
- انعكاسات التغلغل الإيراني في شرق أفريقيا على الأمن القومي الخليجي.
- نحو رؤية خلنجية لمواجهة التغلغل الإيراني في شرق أفريقيا.

ينسجم مع طموحاتها. كما سعت لتوسيع السيطرة على الممرات المائية تحسباً لأي صراع محتمل مع الغرب على ملفها النووي. هذا، فضلاً عن طموحات فتح ممرات بحرية وبرية تسهل لها الوصول إلى مناطق الأزمات في الشرق الأوسط عبر تأمين وجود إيراني قريب من هذه المناطق، وتوفير أوراق ضغط جديدة للمساومة في الشرق الأوسط⁽³⁾.

ولذا، كانت منطقة شرق إفريقيا جزءاً من هذا الطموح، فقد احتلت تلك المنطقة مكانة مهمة في أجندة اهتمامات السياسة الخارجية الإيرانية في السنوات الأخيرة، وتحديداً بعد وصول محمود أحمدى نجاد إلى سدة الحكم في عام 2005⁽⁴⁾. زار نجاد العديد من دول شرق إفريقيا "منها جزر القمر وجيبوتي وكينيا" في شباط / فبراير عام 2009، وخلال تلك الزيارة أكد نجاد إرادة إيران مساعدة الدول الأفريقية على تقوية استقلالها، وتكوين جبهة متحدة ضد النفوذ الغربي⁽⁵⁾; وهو ما برره أحمدى نجاد برغبة القارة الأفريقية الصادقة في عدم السماح للدول العظمى بالعودة إلى أراضيها لنهاها واغتصابها مرة أخرى. وقد لاقت زيارة نجاد ترحيباً من جانب تلك الدول، فقد وصف الرئيس الجيبوتي عمر حسن جيلة الزيارة بأنها تاريخية، ودعا إلى ضرورة تدعيم العلاقات بين الدولتين. وكان نجاد قد بدأ جولته بزيارة جزر القمر التي لها وضع خاص في إطار العلاقة الإيرانية الأفريقية، فالرئيس عبد الله سامي قد درس في إيران وتأثر بنمودجها "الشوري"، حتى أنَّ البعض أطلق عليه لقب "آية الله". وقد وقع الجانبان وثائق تفاهمات لتوسيع العلاقات السياسية، وتقديم المساعدات الفنية الإيرانية لتطوير عدد من المشروعات.

وبعد زيارة جزر القمر، قام أحمدى نجاد بزيارة هي الأولى من نوعها إلى جيبوتي التي تولتها إيران أهمية كبيرة لموقعها الإستراتيجي في الشرق الأفريقي. وهذا يندرج في إطار سعي إيران لبناء نفوذ إستراتيجي قوي على الجانب الغربي من البحر الأحمر، في ظل وجود علاقات وثيقة لها على الجانب الشرقي منه، ما يدعم نفوذهما في مدخل البحر الأحمر الجنوبي، بما له من أهمية بصفته أحد أهم المسارات التجارية الرئيسية. وفي المؤتمر الصحفي الذي عقد خلال الزيارة، صرَّاح أحمدى نجاد بـ"أنَّ العلاقات بين الدولتين لم تزل في مدهما، لأنَّ هاتين الدولتين لا تتشاركان تاريخياً مشتركاً". وقد وقع الطرفان اتفاقيات

³ زيد يحيى المحبشي، "الأجندة المتضارعة في القرن الأفريقي"، 29/12/2009، شوهد في 15/3/2016، في: <http://al-mahbashi.blogspot.com/2009/12/blog-post.html>

⁴ المرجع نفسه.

⁵ "نشاط إيران في شرق إفريقيا بوابة الشرق الأوسط والقاراء الأفريقية"، إعداد مركز المعلومات حول الاستخبارات والإرهاب، مجلة قراءات إفريقية، العدد 5، حزيران/يونيو 2010، ص 108 - 109.

المصاعب التي واجهت الباحث

أثناء إعداد الدراسة، واجه الباحث جملة من المصاعب، من أهمها صعوبة الحصول على وثائق تدعم المادة العلمية. ولذا، كان اعتماد الباحث على وكالات الأنباء العالمية الأجنبية والإيرانية والأفريقية، والصحافة المصرية، والتقارير الإقليمية والدولية.

الإطار الزمني للدراسة

رأى الباحث أن تكون الفترة محصورة بين عامي 2005 و2014، وهي الفترة التي تبدأ بوصول الرئيس أحمدى نجاد إلى سدة الحكم، وتنتهي بانقلاب الحوثيين على السلطة الشرعية بقيادة الرئيس عبد ربه منصور هادي.

أولاً. مظاهر التغلغل الإيراني في شرق إفريقيا

ازداد طموح إيران إلى الوصول إلى البحر الأحمر والقرن الأفريقي⁽¹⁾ في إثر حوادث 11 سبتمبر 2001، وقيام الولايات المتحدة بإعادة طرح مشروع القرن الأفريقي الجديد الذي يهدف إلى تأمين الممرات المائية العالمية في البحر الأحمر والمحيط الهندي بما يخدم المصالح الأمريكية. لقد سعت الولايات المتحدة لتأمين الوصول إلى منابع النفط والماء الخام، وذلك بإنشاء القاعدة الأمريكية في جيبوتي عام 2002، والتي تضمن لأميركا السيطرة الإستراتيجية على المنطقة البحرية التي يمر بها نحو ربع إنتاج العالم من النفط⁽²⁾. ولذا، سعت إيران بخطوة محكمة لنقل الصراع من مضيق هرمز والخليج العربي إلى خليج عدن وباب المندب، بدلالة خروج التدخل الإيراني في الشؤون الداخلية للمنطقة من دائرة السرية والملوأحة إلى دائرة العلن والتدخل المباشر، بما

¹ يكتسب القرن الأفريقي أهميته الإستراتيجية من كون دولة تطل على "المحيط الهندي من ناحية، وتحكم في المدخل الجنوبي للبحر الأحمر، حيث مضيق باب المندب من ناحية ثانية. ومن ثم فإنَّ دولة تحكم في طريق التجارة العالمي، خاصة تجارة النفط القادمة من دول الخليج، والمتوجهة إلى أوروبا، والولايات المتحدة. كما أنها تُعدَّ ممراً مهمًا لأي تحركات عسكرية،قادمة من أوروبا، أو الولايات المتحدة، في اتجاه منطقة الخليج العربي". انظر: جلال الدين محمد صالح، "القرن الأفريقي.. أهميته الإستراتيجية وصراعاته الداخلية"، مجلة قراءات إفريقية، المنتدى الإسلامي، العدد 1، السنة 2004، ص 100، 11/12/2012. شوهد في 15/3/2016، في: <http://www.alukah.net/culture/0/62200/#ixzz3PXvUrD4a>

² للمزيد انظر: "إيران والنفوذ المتضارع في "القرن الأفريقي""، مجلة البيان، 15/3/2016، شوهد في 15/3/2016، في: <http://www.albayan.co.uk/Article2.aspx?id=2451>

وصف وزير الخارجية الإيراني من شهر متميّز القمة بأنها خطوة مهمّة لاستكشاف طرق جديدة لتعزيز العلاقات مع الدول الأفريقية، ولا سيما في مجالات الأمن والصحة، واصفًا إيران بأنها "شريك إستراتيجي" لأفريقيا⁽¹⁰⁾. ونتيجة لجهد إيران لتعزيز الروابط والتعاون مع أفريقيا، تمّ قبولها في الاتحاد الأفريقي بصفة عضو مراقب، لقد أظهرت حضورًا نشطًا في اجتماعات قمة الاتحاد الأفريقي، وتمّ اعتمادها أحد الشركاء الإستراتيجيين⁽¹¹⁾.

وقد تعددت أهداف إيران من عقد هذا الملتقى، وفي مقدمة هذه الأهداف حشد تأييد أفريقي في مواجهة المخططات الأميركية الرامية إلى عزل إيران وتطويقها وحصارها بعد فرض العقوبات الاقتصادية عليها. ومن بين الأهداف الإيرانية أيضًا محاولة إيجاد متنفس اقتصادي لخرق الحصار الاقتصادي، وذلك باستيراد منتجات Africaine، وتصدير الإنتاج الصناعي الإيراني إلى السوق الأفريقية، خاصة في مجال السيارات والأدوية والمعدات الطبية. هذا فضلًا عن العمل على إيجاد سوق للصناعات العسكرية الإيرانية، وإظهار التضامن الإيراني مع القضايا الأفريقية⁽¹²⁾. ونعرض في ما يلي بالتفصيل لمظاهر التغلغل الإيراني في دول شرق إفريقيا:

1. أوغندا

لم يقتصر جهد إيران على إقامة علاقات مع دول بعيدتها في شرق أفريقيا، فقد تجددت إلى معظم دول هذه المنطقة، وولت وجهها شطر دولة أوغندا وأقامت معها علاقات وطيدة للغاية. وكان هناك نوع من التفاعل بين الدولتين خاصة في تبادل الزيارات الرسمية، وتحديديًا على مستوى الرؤساء، وقد استهلّها رافسن جاني بزيارة أوغندا، وعقد خلالها عدة اتفاقيات للتعاون في مجال التجارة والاقتصاد، والاستثمارات المشتركة في مجال الزراعة، والكهرباء، والمياه، والمعادن، والنفط، والبريد، والاتصالات، والنقل، والتعليم⁽¹³⁾. وسار على نهج رافسن جاني خليفاه محمد خاتمي ومحمد أحmedi، في زيارة أوغندا⁽¹⁴⁾. وهو ما يدل على أهمية أوغندا في الإستراتيجية

10 "Iran and Africa seek a new world order: Ahmadinejad", *Mehr News Agency (MNA)*, 14/9/2010, accessed 15/3/2016, at:
<https://www.highbeam.com/doc/1G1-237174951.html>

11 سها إسماعيل محمد، "الدور الإيراني في أفريقيا (2012-2013)", التقرير الإستراتيجي للأfrican 2012 / 2013، صبحي قصوه ونادية عبد الفتاح (محرر)، مركز البحوث الأفريقية، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة، (يوليو 2014)، ص. 465.

12 خزار، ص.35.

13 المرجع نفسه، ص.29.

14 "State Minister Lauds Uganda-Iran Relations," *Nam News Network*, 11/2/2013, accessed 15/3/2016, at:
<http://www.namnewsnetwork.org/v3/read.php?id=MjIwOTc5>

استثمار مشتركة في عدة مشروعات في مجال الطاقة، وعرض الوفد الإيراني الذي رافق أحmedi نجاد تقديم المساعدة لجيبيتي في المجال العلمي والصناعي والهندسي بهدف تطور مشاريع مختلفة في الدولة، إضافة إلى ذلك، قدمت إيران لجيبيتي قرضاً، وقدّمت لها المساعدة لإقامة مركز للإرشاد المهني⁽⁶⁾.

قام أحmedi نجاد بزيارة هي الأولى من نوعها إلى جيبيتي التي توليه إيران أهمية كبيرة لموقعها الإستراتيجي في الشرق الأفريقي

ولكنّ هذه الزيارة الإيرانية تجاوزت في دلالاتها المصالح الاقتصادية والتجارية المتبادلة بين الطرفين، لتعكس في حقيقتها طبيعة التوجه الإستراتيجي الإيراني صوب بناء تحالفات إقليمية ودولية، تشمل معظم مناطق العالم غير الغربي في آسيا وأفريقيا وأميركا اللاتينية⁽⁷⁾.

وفي إطار الاهتمام الإيراني بالقاراء الأفريقية عامة، دعت إيران إلى عقد الملتقى الذي سُمي بـ" منتدى الحوار الإيراني - الأفريقي" ، والذي تم عقده في طهران في الفترة 15 - 17 أيلول / سبتمبر 2010، بمشاركة ممثلي أكثر من 40 دولة Africaine - كان منهم ممثلون عن دول شرق أفريقيا - وعبر هذا الملتقى عن بداية التعاون بين الجانبين في ظل مجموعة من القواسم المشتركة والمصالح التي تجمع بينهما⁽⁸⁾. وألقى الرئيس الإيراني أحmedi نجاد في هذا الملتقى خطابًا دعا فيه إلى إيجاد نظام عالمي جديد، تسان فيه حرية الشعوب وكرامة الإنسان، وأكّد استئناف إيران العبودية وتجارة الرقيق التي مارسها الغرب ضد الأفارقة، كما شجب نهب الدول الاستعمارية ثروات أفريقيا⁽⁹⁾. وأوضح الرئيس الإيراني أنّ إيران وأفريقيا يسلكان طريقًا واحدًا، ولديهما قواسم مشتركة، مؤكّداً أنّ خبرات إيران وقدراتها، في المجالات العلمية والتقنية والاقتصادية والصناعية والزراعية والثقافية والصحة والعلاج، من شأنها أن تعزّز العلاقات بين إيران وأفريقيا. كما

6 فهد مزيان خزار، "التوجه الإيراني إزاء أفريقيا: رؤية جيبيوليتيكية"، مجلة دراسات إيرانية، جامعة البصرة، العدد 14، السنة 2011، ص.35.

7 المرجع نفسه، ص.36.

8 "Ahmadinejad opens Iran-Africa summit", *press tv*, 15/9/2010, accessed 15/3/2016, at:
<http://edition.presstv.ir/detail/fa/142426.html>

9 خزار، ص.36.

وصرح الجنرال كالي كايهور المفتش العام للشرطة الأوغندية - أنَّ أوغندا طلبت من إيران تدريب الشرطة الأوغندية في مكافحة الإرهاب، والجريمة التي تزداد بصفة تهدد أمن المنطقة؛ وذلك لأنَّ إيران باتت واحدة من البلدان في الطليعة، في ما يتعلق بمكافحة جرائم المخدرات. كما اتفقت إيران مع أوغندا على تدريب قواتها الشرطية وتجهيزها، وبناء مركز طبي بتكلفة 1.5 مليون دولار ل توفير الخدمات الطبية للضباط⁽¹⁷⁾.

2. كينيا

أما عن النفوذ والتغلغل الإيرانيين في كينيا، فالدليل عليه أنَّ إيران كان لها اهتمام خاص بعلاقتها مع كينيا منذ عهد الرئيس رافسنجاني؛ لأنَّها أكثر الدول استقراراً في شرق أفريقيا، هذا فضلاً عن وجود مجال للاستثمارات المضمونة. خلال زيارة رافسنجاني، وقع الجانبان مذكرة تفاهم تناولت أوجه التعاون بينهما في المجالات الاقتصادية والثقافية والصحية والسياحة. كما تمَّ الاتفاق بين الجانبين على تشكيل لجنة متخصصة منبثقة عن اللجنة الاقتصادية المشتركة. وبناء على مذكرة التفاهم المذكورة، أعلن رافسنجاني أنَّ إيران مستعدة لإقامة معارض متخصصة وغرف تجارية في كينيا، وتصدير المنتجات الصناعية والآلات الزراعية وقطع الغيار، وكذلك المواد الكيماوية والتجهيزات الكهربائية والاتصالات، مقابل استيراد إيران السكر والقهوة والشاي والذرة واللحوم والجلود والشحوم من كينيا⁽¹⁸⁾.

وخلال عهد الرئيس الإيراني السابق أحمدى نجاد، أدى رئيس الوزراء الكيني رايلا أودينجا زيارة إلى طهران في شهر آذار / مارس 2011، وقابل الرئيس أحتمي نجاد، وقال إنَّ إيران وكينيا لديهما مجالات واسعة للتعاون، وأنهما حريصتان على تعزيز التعاون بينهما، خاصة في ضوء التطورات العالمية الجارية. وأشار إلى أنَّ إيران وكينيا من الممكن أن تتخذ خطوات فعالة في تعزيز علاقاتهما الثنائية من خلال مزيد من التعاون في المجالات الاقتصادية والسياسية والثقافية. كما قال رئيس الوزراء الكيني رايلا أودينجا إنَّ كينيا تمثل مركزاً تجارياً في شرق أفريقيا، وتسعى لتوسيع العلاقات في جميع المجالات الاقتصادية والسياسية مع إيران⁽¹⁹⁾.

الإيرانية لامتلاك نفوذ قوي في شرق أفريقيا خاصة، وأفريقيا عامة. وفي المقابل، نجد ترحيباً أوغندياً بذلك الاهتمام الإيراني، فقد أدى الرئيس الأوغندي يوبري موسيفيني زيارة إلى إيران أربع مرات في السنوات العشرين الماضية، كانت آخرها في آب / أغسطس 2012 أثناء عقد مؤتمر حركة عدم الانحياز في طهران.

” صرم المفتش العام للشرطة الأوغندية - أنَّ أوغندا طلبت من إيران تدريب الشرطة الأوغندية في مكافحة الإرهاب، والجريمة التي تزداد بصفة تهدد أمن المنطقة ”

كما شمل الاهتمام الإيراني بأوغندا المستويات كافة، فقد زار وزير الخارجية الإيراني منشهر متكي أوغندا في 5 آذار / مارس 2010، وعرض على نظيره الأوغندي سام كوتيسا استعداد طهران لمزيد من التوسيع في العلاقات مع كمبالا في المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية. وقال دبلوماسي إيراني كبير إنَّ المراكز الاقتصادية الإيرانية والقطاع الخاص على استعداد لرفع مستوى التعاون، وزيادة التبادل الاقتصادي مع أوغندا. وقال المستثمرون الإيرانيون إنهم على استعداد لتوسيع العلاقات الاقتصادية مع الدول الأفريقية كافة وأوغندا على وجه الخصوص، وهو ما رحب به كوتيسا، وطلب من إيران التعاون بصفة خاصة في القطاع الصحي⁽¹⁵⁾.

وفي الآونة الأخيرة، كانت أبرز مظاهر النفوذ الإيراني في أوغندا زيارة قائد الشرطة الإيرانية، العميد إسماعيل أحتمي مقدم، مدينة نجورا في 14 تشرين الأول / أكتوبر 2014، وقد استمرت هذه الزيارة خمسة أيام، تمخض عنها توقيع مذكرة تفاهم مع الشرطة الأوغندية، لتعزيز قدرتها على مكافحة الجريمة. وأوضح أنَّ "مذكرة التفاهم تبحث مختلف مجالات التعاون، في ما يتعلق بحفظ الأمن والنظام العام، ومكافحة الجريمة، لافتاً إلى أنَّ كلا البلدين يهتم بتدعميم التعاون في مجالات تعزيز القدرات التقنية، وتبادل المعلومات⁽¹⁶⁾".

17 Stephen wandera, "Kayihura wants Iran to train Uganda Police", *The Daily Monitor*, 16/10/2014, accessed 15/3/2016, at:
<http://www.monitor.co.ug/News/National/Kayihura-wants-Iran-to-train-Uganda-Police/-/688334/2488586/-/263e3a/-/index.html>

18 .29 - 28 خزار،

19 "Iran, Kenya has broad areas for cooperation", blog Indonesia Katami, 7/3/2011, accessed 15/3/2016, at:<https://blogindonesiakatakami.wordpress.com/2011/03/07/iran-kenya-has-broad-areas-for-cooperation/>

15 "FM: Tehran ready for cooperation for peace in east Africa", AFRAN, 14/7/2012, accessed 15/3/016, at:
<http://www.afran.info/modules/article/view.article.php/85>

16 Nicholas Wassaja, "Iran, Uganda to partner in combating crime", New Vision, 20/10/2014, accessed 15/3/2016, at:
http://www.newvision.co.ug/new_vision/news/1312666/iran-uganda-partner-combating-crime

أوجه التعاون بينهما⁽²²⁾. وقد كشفت إحدى وثائق (ويكيليكس) المسرّبة أنّ الولايات المتحدة تلقت تقريراً استخباراتياً من سفارتها في دار السلام، "عاصمة تنزانيا السابقة"، أنّ دبلوماسيّاً سويسريّاً يذكر أنّ شرق أفريقيا هي نقطة عبور رئيسة لليورانيوم المهرّب إلى إيران، ذلك أنّ يورانيوم الكونغو يمرّ من تنزانيا عن طريق شركتين سويسريتين للشحن ثمّ يصل إلى إيران. وهذا ما صرّح به بيرنل ديلي القائم بالأعمال في بعثة الولايات المتحدة بدار السلام للمسؤولين في واشنطن في أيلول / سبتمبر 2006، بأنّ شحنات اليورانيوم تمرّ عبر ميناء دار السلام في طريقها إلى إيران⁽²³⁾.

وما يقتصر النشاط الإيراني على عقد اتفاقات ثنائية مع دول منطقة شرق أفريقيا أو المنظمات الأفريقية فيها، بل امتد إلى الاضطلاع بدور في مواجهة ظاهرة القرصنة البحرية أمام سواحل منطقة القرن الأفريقي. وهو الدور الذي أشاد به محبوب معلم السكريتير التنفيذي للهيئة الحكومية الدولية المعنية بالتنمية IGAD، والتي تضمّ دول "جيبوتي ، السودان ، جنوب السودان ، الصومال ، كينيا ، أوغندا ، إثيوبيا ، إريتريا" ، ووصف هذا الدور بأنه يمثل مصدراً للسلام والاستقرار في منطقة القرن الأفريقي⁽²⁴⁾.

وبهذا التصريح من مسؤول في منظمة تضمّ بين أعضائها معظم دول شرق أفريقيا، نقول إنه قد أصبح لدى الجمهورية الإيرانية "صلاحية تامة" ، تمكّنها ليس من ضمان نفوذ في شرق أفريقيا فحسب، بل أيضاً في القارة الأفريقية بأكملها. ولمَ لا؟ فقد أصبح لدى إيران نفوذ قوي على البحر الأحمر وشرق أفريقيا، بات يهدد الأمن القومي الخليجي بل والمصري أيضًا.

ولذا، توالي إيران دول أفريقيا الشرقية أهمية خاصة في الوقت الحاضر وفي المستقبل، ذلك أنّ إيران ترى في أفريقيا الشرقية مرتعًا واسعًا وخصّاباً للقيام بنشاطات سياسية وعسكرية واقتصادية، ولا سيما الدول التي تطلّ على امتداد البحر الأحمر وفي مقدمتها السودان⁽²⁵⁾.

22 "East Africa: Iran Appoints Envoy to EAC", *allAfrica*, 7/9/2011, accessed 15/3/2016, at:

<http://allafrica.com/stories/201109080420.html>

23 Peter Leftie, "Nation Linked to Illegal Exports of Uranium to Iran", *DAILY NATION* , 20/12/2010, accessed 15/3/2016, at:

<http://bit.ly/1TiQGow>

24 "IGAD chief says Iran's presence in Horn of Africa is a source of peace", Embassy of Islamic Republic of Iran, Pretoria, 30/12/2014, accessed 15/3/2016, at:

<http://pretoria.mfa.ir/index.aspx?fkeyid=&siteid=200&pageid=8738&newsview=321181>

وقد عقدت المجتمعات على مستوى نواب وزراء الخارجية في البلدين، كان أولها في طهران في عام 2010، بينما كان ثانياً في نيروبي في عام 2012. وقد صرّح خلاله وكيل وزارة الخارجية الكينية ثويتا موانيغي في 26 نيسان / أبريل 2012، بأنّ كينيا تدعم كلياً برنامج إيران النووي الإسلامي. في حين دعا نائب وزير الخارجية الإيراني للشؤون الأفريقية والشرق الأوسط، حسين أمير عبد اللهيان، إلى توسيع العلاقات السياسية والبريطانية والاقتصادية والثقافية والتعاون بين البلدين، لا سيما في شأن التطورات الإقليمية والدولية الكبرى. واتفق الجانبان على العمل على استكشاف مجالات جديدة للتعاون، في ظل مكانة إيران وكينيا ودورهما في منطقة الشرق الأوسط وشرق أفريقيا، الأمر الذي يدعم دورهما في حل القضايا الإقليمية⁽²⁶⁾.

وفي 30 أيار / مايو 2012، وصل النائب الأول للرئيس الإيراني محمد رضا رحيمي إلى العاصمة الكينية نيروبي، رافقه في هذه الجولة وفد سياسي واقتصادي رفيع المستوى، في مستهل جولة أفريقيا، استمرت خمسة أيام شملت كينيا وتنزانيا وإقليم زنجبار. أسرفت هذه الزيارة عن توقيع إيران وكينيا ثلاث مذكرات تفاهم وبينما مشتركاً، بهدف تنشئة العلاقات الثنائية والتعاون المشترك بين البلدين وتعزيزها في مجال الجمارك وقطاع الكهرباء ونقل المياه والحد من الازدواج الضريبي. كما أصدر الجانبان بياناً مشتركاً وقعه رحيمي وأودينجا لتعزيز التعاون بين البلدين، وتعاونهما في المنظمات الدولية، ومكافحة غسل الأموال، والتعاون في مجال النقل، وتحقيق التوازن التجاري بين البلدين، ودعم الاستثمارات المشتركة. كما التقى رحيمي الجالية الإيرانية والشيعة المقيمين في كينيا وتنزانيا⁽²⁷⁾.

3. تنزانيا

وما ت肯 تنزانيا هي الأخرى بعيدة عن التحركات الإيرانية، ففي 2011، عينت جمهورية إيران محسن موحدي قمي سفيراً لها في تنزانيا، وممثلاً لها لجتماع شرق أفريقيا (EAC). وقد أعرب ريتشارد سيزيريرا أمين عام تجمع دول شرق أفريقيا عن رغبة دول تجمع شرق أفريقيا EAC وتطلعها إلى العمل مع إيران لدفع

20 "Kenya fully backs Iran's "peaceful" nuclear program", Islamic Republic of Iran, Ministry of Foreign affairs, 28/4/2012, accessed 15/3/2016, at:
<http://dhaka.mfa.ir/index.aspx?fkeyid=&siteid=3&pageid=2023&newsview=23522> ; "Iran- Kenya cooperation will promote intl. peace, security", Press TV, 26/4/2012, accessed 15/3/2016, at:
<http://217.218.67.229/detail/2012/04/26/238188/iran-kenya-ties-boost-peace/>

21 "إيران وكينيا توقيع ثلاث مذكرات تفاهم وبيان مشترك لتعزيز التعاون الثنائي", ايسنا (طهران)، 2012/5/30، شوهد في 2016/3/15، في:
<http://isna.ir/ar/print/91031006610>

وبنهاية من عام 1990، تم تأسيس تعاون بين البلدين في المجالات العسكرية والاقتصادية والثقافية⁽³⁰⁾. وكانت أبرز التفاعلات بين الدولتين زيارة الرئيس الإيراني الأسبق هاشمي رافسنجمي السوداني في عام 1991، وقد وقّعت خلالها اتفاقيات مختلفة⁽³¹⁾. وخلال هذه الزيارة تعهد رافسنجمي بزيادة المساعدات المالية إلى الخرطوم لتصل إلى 17 مليون دولار⁽³²⁾. وعلى إثر تلك الزيارة، بدأت منظمة التنمية الإيرانية العمل في السودان في مجال إنشاء الطرق والمستشفيات، وفي المشاريع الزراعية⁽³³⁾.

ولذا، يمكن القول إن الانفتاح الإيراني على أفريقيا ارتبط بعهد الرئيس رافسنجمي، فقد كانت زيارته تلك حدثاً محورياً بالنسبة إلى السودان الإسلامي الجديد. وتكررت زيارة رافسنجمي للسودان، عام 1996 في إطار جولته في عدد من الدول الأفريقية، وشملت جنوب أفريقيا وكينيا وأوغندا وتنزانيا وزيمبابوي، وكانت تتحرك يومها وفقاً لفلسفه "سياسة البناء" التي بدأها رافسنجمي⁽³⁴⁾.

ومن مظاهر هذا النفوذ الإيراني نجد أنه بحلول عام 1992، كانت تتمركز في السودان ما يقدر بـ 2000 من فيالق الحرس الثوري الإيراني، وبعض المستشارين العسكريين⁽³⁵⁾، لتدريب قوات الدفاع الشعبي السودانية⁽³⁶⁾. وعلاوة على ذلك، قدمت إيران إلى السودان مساعدات عسكرية تقدر بـ 20 مليون دولار من الذخيرة والأسلحة، بما في ذلك قطع المدفعية، وبطاريات مضادة للطائرات⁽³⁷⁾. وفي عام 1993، قدمت إيران عربات مدرعة ومدفعية ثقيلة وأجهزة رadar⁽³⁸⁾.

وبعد زيارة الرئيس الإيراني رافسنجمي، تلتها زيارة رئيس البريطان الإيراني الأسبق على أكبر ناطق نوري السوداني في نيسان / أبريل 1995. وقد شهدت هذه الزيارة توقيع سلسلة من الاتفاقيات الثنائية بهدف تعزيز العلاقات بين البلدين. وشملت اتفاقاً يسمح لإيران باستخدام المراافق البحرية في ميناء السودان، واستئناف المساعدات العسكرية إلى السودان "ما في ذلك تدريب الأفراد العسكريين"، وإنشاء المراكز

³⁰ Joanna Paraszuk, "Iran still courting Sudanese leaders", *The Globe and Mail* (Canada), 27/2/1996.

³¹ "الصراع في دول حوض النيل...".

³² "President: Iran and Sudan capable of defeating enemies", *High Beam Research*, 24/9/2010, accessed 15/3/2016, at: <https://www.highbeam.com/doc/1G1-238091639.html>

³³ Paraszuk.

³⁴ عبد الفتاح.

³⁵ Paraszuk.

³⁶ Ibid.

³⁷ Ibid.

³⁸ "Sending our warships..."

4. السودان⁽³⁹⁾

تجتهد إيران لتقوية علاقاتها بالدول الأفريقية التي تطل على البحر الأحمر، ومن بينها السودان وإريتريا، وذلك لمساعدتها في تأسيس وجود بحري فعال في البحر الأحمر، يقودها إلى تهديد الأمن القومي الخليجي والمصري معاً.

والسؤال الذي يطرح: ما هو موقع السودان في السياسة الخارجية الإيرانية؟ ومتى نشأت العلاقات بين الدولتين؟

وللإجابة عن هذا السؤال، سنوضح مظاهر النفوذ الإيراني في السودان على الأضude السياسية والاقتصادية والثقافية والعسكرية، وذلك من خلال الزيارات المتبادلة بين الدولتين، وما ينتج عنها من اتفاقيات مهمة تعزز هذا النفوذ.

تحظى الدولة السودانية بمكانة مهمة في أجندة اهتمامات السياسة الخارجية الإيرانية؛ وذلك لما تتمتع به من موقع إستراتيجي متميز في الشرق الأفريقي. فهي جزء من العالم العربي وذات ارتباط خاص بمصر، إضافة إلى أنها تمثل البوابة الخلفية لأفريقيا جنوب الصحراء وشمال أفريقيا⁽⁴⁰⁾. ولذا، رأت في السودان نقطة الانطلاق بالنسبة إلى إيران في اهتمامها بالقاربة الأفريقية⁽⁴¹⁾.

وترجع نشأة العلاقات السودانية - الإيرانية إلى عام 1989، عندما تولى الرئيس عمر البشير - بعد انقلابه غير الدموي - السلطة في السودان، إذ رحب إيران بهذا الانقلاب، وأرسلت إلى النظام السوداني الجديد المساعدات العسكرية وإمدادات النفط⁽⁴²⁾.

²⁶ كُبِّيت هذه الورقة قبل التطورات المهمة التي جرت مؤخراً وتمثلت في ابعاد السودان عن إيران. فقد قامت الحكومة السودانية بإغلاق المراكز الإيرانية في البلاد وطرد موظفيها في سبتمبر / أيلول 2014. وعقب الاعتداء على القنصليية السعودية في إيران إثر تنفيذ حكم الإعدام في رجل الدين الشيعي نمر باقر النمر، قطع السودان في كانون الثاني / يناير 2016، علاقاته الدبلوماسية مع إيران، وانضم، عقب ذلك، إلى تحالف عاصفة الحزم بقيادة السعودية لمحاربة الحوثيين وإعادة الحكم الشرعي في اليمن، وأرسل طائرات ولواء من القوات للمشاركة في العمليات.

²⁷ "الصراع في دول حوض النيل والتغلغل الأجنبي وأثره على الأمن القومي، المبحث السابع: الدور الآسيوي في دول حوض النيل"، موسوعة مقاتل من الصحراء، الإصدار السابع عشر، شوهد في 15/3/2016، في: http://www.moqatel.com/openshare/Behoth/Siasia2/SraaHwdNil/sec10.doc_cvt.htm

²⁸ أسماء عبد الفتاح، "إيران تعزز علاقاتها مع السودان وسط مخاوف غربية خليجية"، البديل، 19/9/2013، شوهد في 15/3/2016، في:

<http://elbadil.com/?p=515737>

²⁹ "Sending our warships to Sudan shows our international power", *Jerusalem Post*, 17/12/2012, accessed 15/3/2016, at: <http://www.jpost.com/Iranian-Threat/News/Sending-warships-to-Sudan-shows-our-intl-power>

آذار / مارس 2008، وقعت الدولتان اتفاقية التعاون العسكري التي تعهدت فيها طهران بتدريب السودانيين على أيدي ضباط الجيش والاستخبارات الإيرانية⁽⁴⁷⁾.

وعلى هامش المنتدى الأفريقي - الإيراني، والذي أشرنا إليه سابقاً، شاركت السودان في ذلك المنتدى ومثلاًها وزير الخارجية السوداني أحمد علي كرتي الذي استقبله الرئيس الإيراني أحمدي نجاد وقال: إن العلاقات بين إيران ودولة السودان الشقيقة علاقات عميقة وإستراتيجية، وأن إيران ستدافع عن حقوق الدولة السودانية في كل مكان". ومن جانبه صرّح كرتي: "أن السودان يدافع عن حق إيران في استخدام التكنولوجيا النووية السلمية". كما صرّح مسؤول دبلوماسي سوداني كبير بأن العلاقات بين إيران والسودان ممتازة للغاية، وأضاف بأن هناك توقعات كبيرة بتعزيز العلاقات الثنائية أكثر فأكثر مستقبلاً وتشمل العلاقات الاقتصادية والتجارية أيضاً⁽⁴⁸⁾.

وهكذا، بعد تمتين هذه العلاقات الوطيدة بين الدولتين على الأصعدة السياسية والاقتصادية والعسكرية جميعها، يبقى السؤال ما هو الموقف السوداني من الملف النووي الإيراني؟

أيدت السودان دائماً برنامج الملف النووي الإيراني، فقد أعلن الرئيس السوداني أن إنهاء إيران تخصيب اليورانيوم يعدّ نصراً كبيراً للعاصم الإسلامي، ودعم حق إيران في امتلاك برنامج نووي سلمي، بل وكرر الرئيس السوداني هذا الدعم مرة أخرى في ، وآذار / مارس 2008، وأكد دعمه لبرنامج إيران النووي. وعلى الرغم من تزايد الضغوط الأمريكية - الإسرائيليية غير القانونية لوقف البرنامج الإيراني النووي، فقد ظهر دعم سوداني مرة أخرى في كانون الأول / ديسمبر 2009، أثناء مقابلة بين وزير الخارجية الإيراني متكي من شهر ونظيره السوداني دينج ألوor Deng Alor ومستشار الرئيس السوداني مصطفى عثمان إسماعيل، فقد أعلن ألور أن: "موقفنا الأساسي هو دعم القضية النووية الإيرانية ونحن نقف دائماً مع إيران"⁽⁴⁹⁾.

ولذا، كانت للسودان أهمية كبرى في أجندـة السياسة الخارجية الإيرانية، فقد شهدت العاصمة السودانية استقبال رؤساء الجمهورية الإيرانية بدءاً من رافسنجاني وخاتمي وصولاً إلى الرئيس الإيراني محمود أحمدي نجاد. وفي تشرين الأول / أكتوبر 2011، وصل نجاد إلى الخرطوم، وصرّح بأنَّ السودان تضررت كثيراً بسبب الأزمة

47 "Sending our warships..."

48 "Ahmadinejad: Iran-Sudan ties brotherly and strategic", *Iran English radio*, 15/9/2010, accessed 15/3/2016, at: <http://english.irib.ir/component/k2/item/65540-ahmadinejad-iran-sudan-ties-brotherly-and-strategic>

49 "President: Iran and Sudan"

الثقافية في السودان لتعزيز قيم الثورة الإسلامية، وتبادل المعلومات الاستخباراتية، والتوسّع في السياحة بين الدولتين⁽³⁹⁾.

وقد ازداد التقارب بين الدولتين، نتيجة العقوبات التي فرضتها الولايات المتحدة عليهما، وُوجدت أوجهٌ متعددة للعلاقات بينهما مثل الأمينة والسياسية والاقتصادية⁽⁴⁰⁾. وفي تشرين الأول / أكتوبر 2004، زار الرئيس الإيراني الأسبق محمد خاتمي الخرطوم⁽⁴¹⁾، وخلال عهد الرئيس السابق محمود أحمدي نجاد اهتمت السياسة الخارجية الإيرانية بالسودان، ففي 25 نيسان / أبريل 2006، شدد وزير الخارجية الإيراني منشهر متكي - خلال مقابلته وزير الخارجية السوداني السابق لام أكول - على أهمية تعزيز العلاقات مع السودان من خلال التبادل المنتظم للزيارات بين مسؤولين رفيعي المستوى من البلدين. كما أعرب الوزير السوداني عن دعم بلاده ببرنامج إيران النووي السلمي، وأشاد متكي بالعلاقات بين الخرطوم وطهران، داعياً إلى التعاون الثنائي الأمثل الصناعي والثقافي والاقتصادي⁽⁴²⁾، فقد بلغت التجارة الثنائية بين إيران والسودان 43 مليون دولار في 2006. وصرّح السفير الإيراني في الخرطوم - في ذلك الوقت - رضا أميري بأنَّ هذه التجارة ستزيد إلى 70 مليون دولار. كما شاركت إيران في العديد من مشروعات التنمية في السودان، بما في ذلك مشروع معالجة المياه ومشروع توليد الطاقة الكهربائية⁽⁴³⁾.

كما قام وزير الدفاع السوداني بزيارة إيران في كانون الثاني / يناير 2007، وصرّح بأنَّ إيران كانت من المؤذنين الرئيسيين للسودان بالسلاح لمواجهة حركات التمرد، ووقع البلدان مذكرة تعاون تضمنت إنشاء مشروعات مشتركة، وإنشاء لجنة اقتصادية مشتركة تكون إطاراً مؤسسيًا، وإعطاء إيران مميزات في ميناء بورتسودان⁽⁴⁴⁾. وفي تشرين الأول / أكتوبر 2008، صرّح السفير السوداني في طهران، سليمان عبد التواب Sulayman Abdut-Tawwab، في مقابلة مع الرئيس الإيراني محمود أحمدي نجاد، بزيادة التجارة الثنائية بين البلدين⁽⁴⁵⁾.

وخلال عهد الرئيس أحمدي نجاد، ازداد التعاون الثنائي بين البلدين ليشمل القضايا النووية والاقتصادية والعسكرية، فقد "أعلنت إيران عن رغبتها في تدريب وتمويل وتزويد الجيش السوداني"⁽⁴⁶⁾. وفي

39 Paraszuk.

40 "الصراع في دول حوض النيل..."
41 "نشاط إيران..."

42 Ariel Farrar-Wellman, "Sudan-Iran Foreign Relations", *Irantracker*, 17/1/2010, accessed 15/3/2016, at: <http://wwwirantracker.org/foreign-relations/sudan-iran-foreign-relations>

43 "President: Iran and Sudan ...".

44 "الصراع في دول حوض النيل..."

45 "President: Iran and Sudan ...".

46 Ibid.

الحرية "الشهيد نقدي" إلى السودان في ساحل البحر الأحمر، ما يثير تساؤلات حول تعزيز العلاقات بين الخرطوم وطهران. وقد نقلت المحطة الإيرانية TV Press عن مصادر البحرية الإيرانية قولها إنّ هدف الزيارة: "تبليغ رسالة سلام وصداقة للدول المجاورة، وضمان أمن خطوط الحركة والشحن الملاحي في مواجهة الإرهاب البحري والقرصنة". وأصدرت الحكومة السودانية بياناً لها في 29 تشرين الأول / أكتوبر 2012، تنفي فيه وجود أي اتفاقيات مع إيران لتصنيع الأسلحة في السودان، وقالت: "إنّ إيران ليست في حاجة إلى سلاح تصنعه في السودان، سواء كان ذلك لها أو لحلفائها"⁽⁵³⁾. ولذلك علق رئيس الهيئة السياسية والأمنية في وزارة الدفاع الإسرائيلي عاموس جلعاد على هذا الحدث قائلاً: "إنّ السودان كان دائماً قاعدة عملياتية لزعيم تنظيم القاعدة السابق أسامة بن لادن، والنظام السوداني مدعم من إيران، وأراضيه تشکّل نقطة عبور من خلال الأرضي المصرية لنقل أسلحة إيرانية إلى الجماعات المسلحة في الشرق الأوسط عبر أراضيها إلى غزة ولبنان".⁽⁵⁴⁾

وفي 8 كانون الأول / ديسمبر 2012، رسا أسطول من البحرية الإيرانية في ميناء بورتسودان، بعد أن مرّ عبر مضيق باب المندب الإستراتيجي وأنجز مهمته في البحر الأحمر. قال مكتب العلاقات العامة للقوات البحرية الإيرانية إنّ قادة الأسطول الإيراني عقدوا لقاء مع كبار قادة البحرية السودانية بالفعل، وتوصلا إلى مزيد من التوسيع في التعاون العسكري بين إيران والسودان. كما شكر السفير الإيراني في الخرطوم ترحيب السودان

⁵³ لقد أحدث الخطير المتزايد الذي يمثله القرصنة على عبور السفن في خليج عدن، استجابة دولية غير مسبوقة، فعلى مدار 2008، قام عدد من الدول والمؤسسات متعددة الجنسنات بنشر قوات بحرية بمنطقة مواجهة خطر القرصنة، ولذا تقوم الأمم المتحدة والاتحاد الأوروبي وحلف شمال الأطلسي وعدد كبير من الحكومات الوطنية بإجراء عدة عمليات أممية بحرية منفصلة - سواء كانت أحادية أو متعددة الأطراف - في منطقة خليج عدن. وقد تبني مجلس الأمن العديد من القرارات التي تطالب الحكومات والأعضاء ومنظمات الأمن الإقليمية باتخاذ التدابير اللازمة لمواجهة القرصنة الإقليمية. وفي كانون الأول / ديسمبر 2008، قام الاتحاد الأوروبي بتنظيم "عملية أتلانتا" في المقام الأول من أجل الدفع عن الشحنات الغذائية للصوماليين وضمان وصولها إليهم. وكان حلف شمال الأطلسي قد قام قبل ذلك بهمة لها نفس الهدف نفسه، كما أرسل مؤخراً أسطولاً آخر يكرر عملية أتلانتا. وبالتالي مع هذه المهمات التي تقوم بها منظمات دولية، أطلقت العديد من الحكومات الوطنية مبادراتها الخاصة، وتقوم هذه السفن العربية بمراقبة المياه الصومالية إما بتنسيق غير فعال مع الأساطيل متعددة الجنسنات التي ينتمي لها حلف شمال الأطلسي والاتحاد الأوروبي وإما بصورة مستقلة، وتشمل الدول المشاركة الصين والداغاما وفرنسا وألمانيا وبريطانيا العظمى واليونان والهند ومايلزيا وباكستان وروسيا وتركيا والمملكة العربية السعودية. وقد أعتبرت حكومات إيران واليابان وكوبيا الجنوبية عن تبنّيهما إرسال سفن حرية مواجهة تحديات القرصنة، انظر: ريتشارد ويتر، "ردة الفعل الدولية إزاء القرصنة في خليج عدن: مواجهة تحديات القرصنة"، المجلة 6/22، 2009/2010 RT، شوهد في 15/3/2016، في: <http://www.majalla.com/arb/2009/06/article555606/>

⁵⁴ "سفن حرية إيرانية ترسو في السودان"، 30، 2012/10/RT، شوهد في 15/3/2016، في: <http://bit.ly/1TAIXzT>

الاقتصادية⁽⁵⁰⁾، ولكن ستظل إيران تمثّل الداعم الكبير للرئيس السوداني عمر حسن البشير الذي يواجه اتهاماً من المحكمة الجنائية الدولية، بسبب زعمهم بأنه ارتكب جرائم حرب في دارفور، وقال أيضاً: "نريد توسيع العلاقات مع السودان أكثر وأكثر". كما صرّح نجاد عقب لقائه البشير: "السودان وإيران ستتفقان سوياً للدفاع عن الكيان الإسلامي"، في حين صرّح الرئيس السوداني عمر البشير: "بأنّ السودان تدعم برنامج إيران النووي"⁽⁵¹⁾.

وازداد التقارب السوداني - الإيراني، ووضعت تلك العلاقات تحت المجهور خاصة في تشرين الأول / أكتوبر 2012، عندما رست سفينتان حربيتان إيرانيتان في ميناء بورتسودان السوداني⁽⁵²⁾. ووفقاً للإعلام الرسمي الإيراني، فقد وصلت قوة بحرية إيرانية تشمل السفينة

⁵⁰ فرضت الولايات المتحدة عقوبات اقتصادية وتجارية ومالية على السودان في عام 1997، واتهمت الحكومة السودانية بأنها تدعم الإرهاب بما في ذلك إيواء مؤسس تنظيم القاعدة أسامة بن لادن في منتصف 1990. بل والتورط في محاولة اغتيال الرئيس المصري الأسبق حسني مبارك في عام 1995، وفي عام 1998 قصفت صواريخ كروز الأمريكية صنع الأدوية بالخرطوم لاشتباهه بأنه ذو صلة بتنظيم القاعدة، كما وضعت الولايات المتحدة الأمريكية دولة السودان في المرتبة الثانية بعد إيران بوصفها مركز انتلاق الراديكاليين المسلمين الذين هددوا مصر حكومات الدول المجاورة المطلة للولايات المتحدة، انظر:

Josef Federman, "Israel keeps silent on mysterious Sudan airstrike", *yahoo News*, 25/10/2012, viewed 15/3/2016, at: <http://yhoo.it/1T5XQx4>; David B. Ottaway, "U.S. Eased Law On Terrorism To Aid Oil Firm; Exemption Let Occidental Seek Major Deal in Sudan", *The Washington post*, 23/1/1997.

⁵¹ "Iran wants to help Sudan with infrastructure", *DefenceWeb*, 27/9/2011, accessed 15/3/2016, at: <http://bit.ly/20zqyFJ>

⁵² كانت تلك السفينتان موجودتين في خليج عدن والبحر الأحمر منذ أيلول / سبتمبر 2012 في إطار مشاركة إيران في المجهود البحري الدولي للتغلب على القرصنة الصومالية. وكانت زيارة السفن الحربية الإيرانية ميناء بورتسودان بعد مرور قرابة أسبوع على وقوع تجربيات في مصنع اليموك السوداني، فقد اتهمت السودان إسرائيل بأنها وراء الغارات الجوية التي تسببت في انفجار هذا المصنع والحرق الذي اندلع فيه. كما صرّح وزير الإعلام السوداني أحمد باللال عثمان أن التقنية العالية التي استخدمت في هذا الهجوم لا تمتلكها أي دولة في المنطقة غير إسرائيل، فقد تم تطبيق الرادارات في مطار الخرطوم قبل الهجوم بالطائرات. وأن الإسرائيليين قد أعرّبوا سابقاً بأنّ هذا المصنع يهدّد مصالحهم الإستراتيجية والداخلية. الأمر الذي يدلّ على تورط إسرائيل في ذلك الانفجار. في حين أنّ رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو رفض التعقيب على الحادث في مؤتمر صحافي مع رئيس الوزراء الإيطالي ماريو موتي، ولكنّ موشي بيلون خرج عن صمته واتهم السودان بأنّها قاعدة مهمة للمشتبهين الإسرائيليين وتنظيم القاعدة لنشر الفوضى والإرهاب. كما أدعى مسؤولون إسرائيليون أن العديد من الأسلحة التي تستخدّمها حركة المقاومة حماس تحصل عليها بطرق ملتوية تبدأ من ميناء بندر عباس الإيراني، وتنفذ عبر دyi ومنها إلى السودان، ثم تصل إلى غزة عبر الأنفاق في محاولة للتصدي لتدفق هذه الأسلحة. وكل هذه شواهد تدلّ على أنّ الكيان الصهيوني متورط في حادث انفجار مصنع اليموك ظئناً، انظر:

Mike Pflanz, "Iranian warships dock in Sudan after alleged Israeli airstrikes; The visit has put Sudan's links to Iran under closer scrutiny", *The Christian Science Monitor*, 30/10/2012, viewed 15/3/2016, at: <http://www.csmonitor.com/World/Africa/2012/1030/Iranian-warships-dock-in-Sudan-after-alleged-Israeli-airstrikes>; Salah Khalil; "Blaming Sudan", *Al-Ahram Weekly*, 7/8/2014, viewed 15/3/2016, at: <http://weekly.ahram.org.eg/News/6915/19/Blaming-Sudan.aspx>

أنّ الزيارة جاءت مُماشياً مع تعزيز العلاقات الإستراتيجية بين البلدين التي سوف تستفيد كثيراً. وقال السياري إنّ إيران والسودان تمتّعان بموقع إستراتيجي، مضيّقاً أنه تم توقيع اتفاقات الأمن في باب المندب وخليج عدن بين البلدين⁽⁵⁸⁾.

وفي ثالث زيارة من نوعها في أقل من عام، رست سفينتان حربيتان إيرانيتان في أحد موانئ السودان في 18 أيلول / سبتمبر 2013، الأمر الذي يبرز العلاقات الوثيقة بين البلدين، وهو "أمر تنظر إليه دول الخليج العربي والغرب بريبة". وردّ المتحدث باسم الجيش السوداني على ذلك الحدث قائلاً: "إن السفينتين رستا في ميناء "بورتسودان" للتزود بالمياه والغذاء، ولا يعدّ هذا الرسو زيارة رسمية". في حين قالت وكالة فارس الإيرانية للأنباء: "إن زيارة السفينتين جاءت لتعزيز العلاقات مع الخرطوم"، مضيفة أنّ "السودان شريك واضح لإيران في تعزيز نفوذهما في المنطقة، بينما تتطلع الخرطوم لمساعدة تجارية وعسكرية". وعلى الرغم من أنّ زيارات الأسطول الإيراني المتكررة أمر ذو تكلفة باهظة، فإنّ الأهداف الإستراتيجية الإيرانية كبيرة جدًا إلى درجة يجعل إيران لا تدخل بهذا الاهتمام⁽⁵⁹⁾.

وهكذا، يمكن القول إنّ النفوذ الإيراني في السودان مسّ المجالات السياسية والاقتصادية كلّها، والعسكرية خاصة. فقد اتسمت هذه العلاقات بطبيعة مميزة، تسعى من خلالها كل دولة لتعظيم مكاسبها السياسية والاقتصادية والعسكرية. وتطمح إيران إلى تعظيم نفوذها في أفريقيا ومواردها الطبيعية من خلال السودان، وترمي إلى السيطرة وبسط نفوذها على مساحات كبيرة من القارة الأفريقية. ومن ثم اتخذت إيران الدولة السودانية منصة تنطلق منها إلى القارة الأفريقية عامة، وتهدد الأمن القومي لدول الخليج العربي ومصر خاصة. ولم لا، وقد كان هناك نوع من الثقة وعدم الريبة من جانب السودان تجاه هذه التسهيلات العسكرية التي حصلت عليها إيران، واستغلال ميناء بورتسودان لمصلحة الأهداف الإيرانية؟

5. إريتريا

لقد جمعت بين إيران وإريتريا علاقات تعاون في مجالات التجارة والاستثمار، إضافة إلى استعداد إيراني للمساعدة في مجالات الطاقة والصناعة والزراعة⁽⁶⁰⁾. ومثلت زيارة الرئيس الإريتري أسياس أفورقي معالم العلاقات بين الدولتين، فقد وصل أفورقي إلى طهران في

الحار بالأسطول الإيراني والسفن الغربية، ووصف سفن الجمهورية الإسلامية البحرية في السودان بأنها "شرف بالنسبة لإيران"⁽⁵⁵⁾.

وفي مقابلة مع موقع الدبلوماسية الإيرانية، والذي يديره محمد صادق خرازي، اعترف مستشار وزير الدفاع الإيراني أمير موسوي بأنّ التعاون العسكري بين البلدين مستمر منذ عقود، موجود على "مستويات مختلفة بما في ذلك التدريب والتباردات العسكرية". وأشار موسوي إلى أنّ إيران أرسلت من قبل سفناً حربية إلى السودان في نهاية تشرين الأول / أكتوبر، يوماً بعد أن اتهمت الخرطوم إسرائيل بشنّ غارة جوية ضد مصنع اليرموك للذخائر في العاصمة السودانية. و"هذا الإجراء يدل على أنّ إيران تقف إلى جانب الشعب السوداني والحكومة في قتالهم ضد إسرائيل"⁽⁵⁶⁾.

ورداً على سؤال عما إذا كان السودان سيصبح "ساحة معركة جديدة" للصراع بين إسرائيل وإيران، اعترض موسوي قائلاً إنّ التقارب المتنامي بين طهران والخرطوم كان فقط "إستراتيجياً".

”
صرح قائد البحرية السوداني الجنرال محمد فضل الله يوم الخميس 9 أيار / مايو 2013، بأن وجود القوة البحرية الإيرانية في البحر الأحمر يساعد على ترسیخ الأمن في المنطقة“
”

ومع ذلك، حذر من أنّ التعاون العسكري المستمر بين الدولتين "يمكن أن يكون علامة تحذير" لإسرائيل، ولا سيما أنّ إسرائيل والولايات المتحدة "مستمرة في عزل إيران في المنطقة، فـ"وجود إيران في هذه المياه يمكن أن يشكل تهديداً لإسرائيل". ونفي موسوي أن تكون طهران تغازل بعلاقتها مع الخرطوم في توقع فقدان سوريا. وردّ على ذلك بأنّ "الحكومة السورية لا تزال في السلطة"⁽⁵⁷⁾.

هذا وقد صرّح قائد البحرية السوداني الجنرال محمد فضل الله يوم الخميس 9 أيار / مايو 2013، بأنّ وجود القوة البحرية الإيرانية في البحر الأحمر يساعد على ترسیخ الأمن في المنطقة. وفي حديثه للصحافيين بعد اجتماع مع نظيره الإيراني حبيب الله سياري، أضاف

58 "Sudan's navy commander hails Iran's role in Red Sea security", *Trend news agency*, 9/5/2013, accessed 15/3/2016, at:
<http://en.trend.az/iran/2148737.html>

59 عبد الفتاح.
468 محمد، ص 60.

55 "Iranian Warships dock in Sudan, sparking Israeli concern ", *Al Arabiya News* , 9/12/2012, accessed 15/3/2016, at:
<http://english.alarabiya.net/articles/2012/12/09/254116.html>

56 "Sending our warships..."
57 Ibid.

ولكنَّ ما يؤكد ذلك أنَّ إيران من الدول القليلة التي لديها تسهيلات عسكرية وبحرية واستخباراتية خاصة في ميناء عصب بمصوع، بل وقامت بنصب عشرات بطاريات الصواريخ المتوسطة والبعيدة المدى والصواريخ المضادة للطائرات والسفن في ميناء عصب⁽⁶⁴⁾.

فقد أشارت بعض التقارير إلى أنَّ إيران حصلت على تسهيلات في ميناء عصب على البحر الأحمر، تمكِّنها من مواجهة القوى الغربية في حالة تهديد قدرات إيران النووية. ولعلَّ سعي إيران لتطوير علاقاتها مع دول شرق أفريقيا الأخرى، مثل كينيا وتanzania وجزر القمر، يؤكِّد هذا المنحى الإستراتيجي في الاختراق الإيراني لأفريقيا⁽⁶⁵⁾.

وهكذا، يمكن القول إنَّ إيران توالي الدول الأفريقية الساحلية أهمية كبرى، حتى يتسلُّن لها الحصول على تسهيلات عسكرية وبحرية، إضافة إلى الحصول على الدعم الدبلوماسي والتوصيت لمصلحة البرنامج النووي الإيراني في المؤسسات الدولية. وجدير بالذكر أنَّ إيران تنكر وتتفى وجود أي تسهيلات بحرية لها في المنطقة، وتبرر وجودها في بعض الأحيان في المياه الإقليمية بأنَّها تقوم بعمليات بحرية ضد القرصنة. ولقد تأكَّد أنَّ إيران في علاقاتها بالدول الأفريقية تستقطب الدول التي تكون في حالة توئُّر مع القوى الغربية. وتعدُّ السودان وإريتريا مثالين في منتهى الوضوح للحالة السابقة، إذ يشجع ذلك تبادل المصالح بين تلك الدول وإيران في مواجهة، وربما تحدي القوى الخارجية الغربية، الأمر الذي يؤثُّ إيجابيًّا في نفوذ إيران في المنطقة.

ثانياً. انعكاسات التغلغل الإيراني في شرق أفريقيا على الأمن القومي الخليجي

لا شك في أنَّ وجود إيران في البحر الأحمر ومنطقة شرق أفريقيا مدعاة للقلق العميق للحكومات العربية في المنطقة؛ فالوجود الإيراني ينعكس سلبيًّا على الوضع الأمني في كل المناطق المحيطة والخليج العربي خاصة⁽⁶⁶⁾. فمنذ عهد الرئيس الأسبق هاشمي رافسنجاني، ركَّزت السياسة الخارجية الإيرانية اهتماماتها على القارة الأفريقية بوجه عام، ومنطقة شرق أفريقيا بوجه خاص، لما تتمتع

⁶⁴ صالح كرار، "الوجود الإيراني في إرتريا"، فرجت نت، 22/3/2012، شوهد في 15/3/2016، في:

<http://www.farajat.net/ar/21665>

⁶⁵ محمد، ص 468.

⁶⁶ نسرین قصاب، "التنافس الإسرائيلي - الإيراني وأثره على الأمن القومي العربي"، المزمام، 1/4/2014، شوهد في 15/3/2016، في:

<http://bit.ly/1WTar45>

19 أيار / مايو 2008، على رأس وفد من كبار السياسيين والاقتصاديين، وأكَّد الرئيسان نجاد وأفورقي أنَّ إيران وإريتريا لهما مواقف متقاربة للغاية في شأن القضايا الإقليمية والعالمية المختلفة. وقال المسؤولون إنَّ التوسيع في العلاقات المتبادلة والتعاون يخدم صالح الشعبين الإيرياني والإريتري. وأعلنوا أنَّ إيران وإريتريا تتعانق بإمكانات واسعة لتعزيز التعاون في مجال الاقتصاد، والطاقة والزراعة والصناعة والاستثمار. فقد قال الرئيس الإريتري إنَّ بلاده تريد التعاون مع إيران في المجالات السياسية والاقتصادية وكذلك في مجال الاستثمار والطاقة والصناعة والزراعة⁽⁶¹⁾. كما أجرى أفورقي محادثات مع رئيس غرفة إيران للتجارة والصناعة والمناجم محمد نهاونديان حول القضايا ذات الاهتمام المشترك. وخلال الاجتماع، دعا أفورقي إلى توسيع العلاقات الاقتصادية بين البلدين، مشيرًا إلى أنَّ إريتريا تحاول تشجيع البلدان الأخرى على الاستثمار فيها. وأعرب أفورقي عن أمله في زيادة التعاون الاقتصادي بين البلدين، "وأشار إلى أنَّ السلع الإيرانية يتم تصديرها إلى إريتريا عبر دول أخرى، داعيًّا إلى استيراد البضائع الإيرانية مباشرة من إيران. كما دعا نهاونديان إلى تعزيز العلاقات بين البلدين"⁽⁶²⁾، ومن ثمَّ وقعت اتفاقيات لتعزيز التعاون بين البلدين في مجالات التجارة والاستثمار⁽⁶³⁾.

”

أكَّد الرئيسان نجاد وأفورقي أنَّ إيران وإريتريا لهما مواقف متقاربة للغاية في شأن القضايا الإقليمية والعالمية المختلفة

”

وعن الموقف الإريتري من ملف النووي الإيراني، وصف الرئيس الإريتري طموحات إيران النووية بأنَّها "مصدر الفرح والسعادة لنا". وكانت تقارير، ومعظمها غير مؤكدة، تفيد أنَّ البلدين قد توصلَا إلى اتفاقية أمنية تتضمن نقاط التفتيش في مضيق باب المندب.

⁶¹ Jeffrey A. Lefebvre, "Iran in the Horn of Africa: Outflanking U.S. Allies," *Middle East Policy Council*, vol. XIX, no. 2 (Summer 2012), accessed 15/3/2016, at:

<http://bit.ly/1T5YavJ>

⁶² "Iran Calls for Expansion of All-Out ties with Eritrea", *tesfanews*, 10/12/2012, accessed 15/3/2016, at:
<http://www.tesfanews.net/iran-calls-for-expansion-of-all-out-ties-with-eritrea/>

⁶³ محمد، ص 468.

ولذا، كانت أبرز انعكاسات النفوذ الإيراني في شرق أفريقيا بصفة عامة، وإريتريا بصفة خاصة، على الأمن القومي الخليجي ما احتوته إحدى البرقيات المرسلة من السفارة الأميركية في أسمرة إلى واشنطن سرّيتها ويكيبيكس بتاريخ 12 شباط / فبراير 2010. لقد كشفت هذه البرقيات النقاب عن وجود حوثي في إريتريا منذ عام 2009، كما تضمنت قلق السفير السعودي، ناصر علي الحوطى، في إريتريا من النفوذ الإيرلندي؛ إذ قال: "إن إيران زودت البحرية الإريترية بالأسلحة، وأنه رأى مؤخرًا وفقاً إيرانياً يزور أسمرة"، وقال السفير: "إن المتمردين الحوثيين كانوا متواجدين في إريتريا منذ عام 2009، لكنه ليس متأكداً فيما إذا كانوا لا يزالون هنا أم لا". وقد أخبر السفير السعودي نظيره الأميركي يوم 11 شباط / فبراير 2010، أنه قلق بخصوص المصالح الإيرانية المتزايدة في إريتريا. وأنه رأى 5 أو 6 من الزوار الإيرانيين رفقة مدير البروتوكول في الخارجية الإريترية في أسمرة، وقال إنه يعتقد أن إيران تريد تطبيق بلاده⁽⁷³⁾. واستطرد السفير السعودي قوله بأنَّ نظام أسياس أفورقي يدعم الجماعات المعارضة في البلدان المجاورة ليزيد من نفوذ أسمرة، وأنَّ هذا النظام لا يزال يضمُّ نيات سيئة تجاه اليمن بسبب حرب حنيش⁽⁷⁴⁾. وبسؤاله عما إذا كان يعتقد أنَّ إيران تدرِّب الحوثيين في إريتريا، قال: "إنه لا يعرف"⁽⁷⁵⁾.

إذًا، أثبتت الوثيقة وجود عناصر من الحوثيين على الأراضي الإريترية، وهذا يرجع إلى النفوذ الإيرلندي القوي في إريتريا، أي إنَّ هناك تنسيقاً إيرانياً - حوثياً - إريترياً. فقد أشارت تحليلات أجهزة الاستخبارات الغربية إلى أنَّ الحرس الثوري الإيرلندي قام بتدريب متطرفين يمنيين من الحوثيين وتأهيلهم عقائدياً وعسكرياً في مدينة قم الإيرانية، وأيضاً متطرفين من أفغانستان إلى داخل شمال اليمن وجنوبه للعمل

73 "كيف تدعم إريتريا الحوثيين في الحرب الدائرة باليمن؟"، نون بوست، 2015/5/5، شوهد في 2016/3/15، في: <https://www.noonpost.net/content/6533>

74 توترت العلاقات بين إريتريا واليمن بسبب الادعاءات والادعاءات المضادة على جزر حنيش الاستراتيجية، والتي احتلتها إريتريا عام 1995، وحرست حكومتا اليمن وإريتريا على احترام لجنة التحكيم الدولي التي منحت الجزر إلى اليمن في عام 1998، وتقع جزر حنيش الاستراتيجية على باب المندب بين شبه الجزيرة العربية والقرن الأفريقي، وهي من أكثر المرات المائية ازدحاماً في العام. انظر:

"Houthi rise in Yemen raises alarm in Horn of Africa", world bulletin, 12/1/2015, viewed 15/3/2016, at: <http://bit.ly/24CRWc8>

به تلك المنطقة من موقع إستراتيجي مهم لإيران، وارتباطها بمنطقة الخليج العربي والبحر الأحمر⁽⁶⁷⁾.

ولذلك يمكن القول إنَّ تزايد النفوذ والتغلغل الإيرلندي في منطقة الشرق الأفريقي شأنه شأن النفوذ الإسرائيلي، ففي كل الحالتين يهدد الأمن القومي العربي ككل، بل ويهدد نظم الأمن الوطنية لبعض الدول العربية؛ كالصومال، عبر دعم إيران للجماعات الأصولية المتطرفة فيها؛ والسودان، عبر دعمها نظام البشير؛ واليمن عبر دعمها الحوثيين. وهذا ما دفع العديد من المراقبين والخبراء إلى الجزم بأنَّ البحر الأحمر مرشح في المرحلة المقبلة ليكون حلبة جديدة لمواجهات مسلحة إقليمية دولية، على خلفية الحراك الإيرلندي غير المسبوق لفتح جبهات جديدة في القرن الأفريقي⁽⁶⁸⁾.

1. الحلف الإيرلندي - الإريتري - الحوثي وأثره في الأمن القومي الخليجي

أكَّدت المعارضة الإيرلندي وجود تسهيلات عسكرية إريترية لإيران، تستطيع من خلالها تمويل الحوثيين في اليمن بالسلاح. كما أنَّ وسائل الإعلام الإسرائيلية كشفت عن وجود قاعدة عسكرية إيرانية بحرية بالقرب من ميناء عصب الإريتري. وهي تقارير توحى بأنَّ إريتريا قد تحولت إلى بوابة بالنسبة إلى إيران لتصل إلى اليمن⁽⁶⁹⁾ وال الحوثيين⁽⁷⁰⁾. فعمليات إيران في إريتريا ذات صلة بهدف إيران الأكبر في السيطرة على باب المندب⁽⁷¹⁾، ومن ثم تضييق الخناق على البحر الأحمر وقناة السويس الممر المائي الإستراتيجي⁽⁷²⁾.

67 خزار، ص.28.

68 قصاب.

69 يمثل اليمن أهمية إستراتيجية ومجلاً حيوياً بالنسبة إلى دول الخليج العربي، فهو يطل على البحر الأحمر والبحر العربي والمحيط الهندي. راجع: "نحو رؤية أممية خلية مشتركة بعد التهديد الحوثي في اليمن"، البوابة نيوز، 2015/2/10، شوهد في 2016/3/15، في: <http://www.albawabnews.com/1105795>

70 نقولا ناصر، "إريتريا: بوابة إيران إلى اليمن وال الحوثيين؟"، مجلة المحرر، العدد 286، السنة 18 (2010)، شوهد في 2016/3/15، في:

http://www.al-moharer.net/moh286/nicola_nasser286m.htm

71 يُعد باب المندب البوابة الجنوبية للبحر الأحمر، وكان دأباً سيراً للصراع الدولي بين الدول الكبرى خاصة فرنسا وإيطاليا وإنكلترا، بوصفه مصدر تحكم بين الشرق والغرب. ويبلغ اتساع باب المندب 23.2 كلم فيما بين رأس باب المندب شرقاً ورأس سينان غرباً، تطل 3 دول على باب المندب هي اليمن وإريتريا وجيبوتي، غير أنَّ اليمن هو الذي يتحكم في الممر الدولي من خلال جزيرة ميون التي لا تبعد عن اليابسة اليمنية سوى 4.8 كلم، فيما تبعد عن الساحل الأفريقي 33 كلم. انظر:

"مصادر يمنية لـ"الشرق الأوسط": قوات حوثية تتقدم للسيطرة على باب المندب"، الشرق الأوسط، 2014/10/8، شوهد في 2016/3/15، في:

<http://aawsat.com/home/article/196851>

72 "الاهرام تكشف عن نوايا إيرانية وإسرائيلية مشتركة للسيطرة على باب المندب"، صدى عدن، 2014/10/23، شوهد في 2016/3/15، في:

<http://www.sadaaden.org/read-news/305289>

وفي تقرير آخر نشر في تشرين الأول / أكتوبر 2009، جاء "أن إيران تتغلب مؤنًا للحوثيين"⁽⁸²⁾، ذلك أنها أقامت قاعدة في إريتريا لتنزويدها الحوثيين في اليمن بالأسلحة، عن طريق تهريب الأسلحة عبر البحر الأحمر إلى ميناء ميدي اليمني. ووفقاً لمصادر قناة الجزيرة في 29 تشرين الثاني / نوفمبر 2009، فـ"إن السفن الإيرانية كانت تحمل أنواعاً مختلفة من الأسلحة والذخائر، ووصلت إلى الجزء الجنوبي من البحر الأحمر، لكنها لم تتمكن من الاقتراب من السواحل اليمنية وتحديدياً في منطقة ميدي، بسبب الحصار الذي أحكمته عليها القوات البحرية السعودية، الأمر الذي دفع هذه السفن الإيرانية للإبحار إلى إريتريا، وجعلها تفرغ حمولتها لتهريبها لاحقاً إلى الأراضي اليمنية من قبل القوارب الصغيرة وقوارب الصيد، وقد تزامنت هذه الأنشطة مع استمرار القتال بين الجيش اليمني والمتمردين الحوثيين".⁽⁸³⁾ . وخلال تشرين الثاني / نوفمبر 2009، استخدمت المملكة العربية السعودية آلتها العسكرية لمحاربة المتمردين الذين عبروا الحدود السعودية بعمق 93 ميلًا داخل المملكة، وقتلوا ضابطاً سعودياً وجرحوا أكثر من عشرة آخرين، ومنذ ذلك الحين وال سعودية تشن هجمات جوية وبرية على المتمردين، وسمحت لقواتها بالتوغل داخل محافظة صعدة 7 أميال لخلق عازل أمني لحماية أراضيها من هجمات مماثلة.⁽⁸⁴⁾ .

صدر تقرير آخر في 29 تشرين الأول / أكتوبر 2012، بعنوان "شرق أفريقيا ميدان للصراع بين إيران وإسرائيل"، يؤكد العلاقات القوية بين إيران وإريتريا، تناول عواقب الصراع الإسرائيلي الإيراني في إريتريا، وتحدّث عن اختيار إريتريا توثيق صلاتها بإيران؛ لأنّ إسرائيل على ارتباط أوّلئك بإثيوبيا والحلف الأميركي الذي لا يريد النظام الإريتري الحالي⁽⁸⁵⁾.

والسؤال الذي يطرح هو التالي: هل من الممكن أن تكتُّف إيران تهديدها بإغلاق مضيق باب المندب، قبالة سواحل إريتريا؟ أجاب عن هذا السؤال الصحافي السوداني راشد سعيد يعقوب مراسل راديو فرانسال دولي RFI، بأنّ تنفيذ هذا التهديد ليس مهمّة سهلة للإيرانيين، ولكنّ إيران لديها أهداف أكبر كثيّراً في هذه المنطقة من مجرد إغلاق مضيق باب المندب، فعلى سبيل المثال تدعم إيران المتمرّدين اليمنيين في شمال اليمن، إضافة إلى سعي إيران لدعم المعارضة الإسلامية في

التراي. 82

الدين). 83

⁸⁴ في تطور خطير ايران ترسل سفن [كذا] حرية الى الملاحة اليمانية، [نقلً عن الصحافة الفرنسية] جريدة فرجت نت، 18/11/2009، شوهد في 15/3/2016، في: <http://bit.ly/1Qu5wVF>

التراي. 85

لحساب إيران هناك⁽⁷⁶⁾. كما أوضحت بعض التقارير الإيرانية على موقع أخبار Tabnak أن السفن الحربية الإيرانية التي تم إرسالها في 14 تشرين الثاني / نوفمبر 2009، إلى خليج عدن⁽⁷⁷⁾، كانت لحماية السفن التجارية الإيرانية من القرصنة الصوماليين⁽⁷⁸⁾. ولكن هذه الادعاءات واهية، فقد أكدت تقارير أخرى أن هذه السفن جاءت من أجل تهريب الأسلحة إلى الحوثيين في اليمن عن طريق القوارب اليمنية الصغيرة وقارب صيد الأسماك⁽⁷⁹⁾.

وهذا ما أكدته الحكومة اليمنية في 26 تشرين الأول / أكتوبر 2009، بأنها ضبطت سفينة تحمل أسلحة من إيران ومتوجهة إلى المتمردين الحوثيين عن طريق إريتريا⁽⁸⁰⁾. وهو ما أكدته تقرير أميريكي صادر عن مركز "ستراتفور" للدراسات الإستراتيجية والأمنية، أنَّ "القوات البحرية الإيرانية اتجهت إلى استخدام طريق أطول ملا المتمردين الحوثيين في اليمن بالأسلحة، ينطلق من ميناء عصب الإريتري، ويمر شرقاً حول الطرف الجنوبي من بحر العرب في خليج عدن إلى مدينة شقراء التي تقع على ساحل جنوب اليمن، ومن هناك تتحرك الأسلحة برياً إلى شمال مدينة مأرب شرقى اليمن، وبعدها إلى محافظة صعدة على الحدود السعودية - اليمنية⁽⁸¹⁾.

76 حسام سوبلم، "أبعاد التواجد الإيراني في إريتريا وجنوب البحر الأحمر"، ملتقى الخطباء، 5/12/1434هـ، شوهيد في 15/3/2016، في:

<http://www.khutabaa.com/index.cfm?method=home.con&ContentID=9870>

77 ينبع خليج عدن بأهمية إستراتيجية كبرى، إذ يمر منه ويلتقي عنده أهم ثلاثة ممرات مائية بحرية دولية، تتمثل بـ: الخط القادم من الخليج العربي، والخط القادم من شرق وجنوب شرق آسيا، والخط القادم من شرق أفريقيا وجنوبها إلى البحر الأحمر، علاوة على ذلك، تقع هذه الممرات للملاحة البحرية في منطقة شديدة التوتر والصراع والفوضى الأمنية، ابتداءً من الصومال وجبوبي وحتى إريتريا وإثيوبيا، وما يمثله الوجود الأجنبي على سواحل وأراضي هذه الدول "القوات الأمريكية المتمركزة في جيبوتي والوجود الصيني الإيراني في الصومال، والوجود الإسرائيلي الأمريكي والإيراني في إريتريا" من تحديات لأمن الخليج.

راجح: "نحو رؤية أمنية ...؟"؛ انظر: ناصر.

78 خالد محمود، "الإفراج عن سفينة إيرانية مستأجرة خطفت قبالة ساحل اليمن"، الشرق الأوسط، 11/1/2009، شوهد في 15/3/2016، في:

79 يوسف عبد الله الدينى، "انهيار اليمن الواحد بحروب طائفية انقلابية: الحوثيون حزب الله الجديد"، المجلة، 2014/10/10، شوهد في 15/3/2016، في:

81 عمر البشير التايب، "إيران في أفريقيا.. القوة الناعمة والأرض الزخوة"، المجلة، 2013/1/31، في: <http://www.siyassa.org.eg/NewsQ/3715.aspx>

انظر أيضًا: "دعوات لتطهير السودان وإرتريا من النفوذ الإيراني"، شبكة الدفاع عن السنة، 2009/11/27، شوهد في 15/3/2016، في: <http://www.majalla.com/arb/2013/01/article55242177>

<http://www.dd-sunnah.net/news/view/action/view/id/2145/>

ما يؤكد نيات إيرانية جديدة لتهديد جنوب السعودية، وتهديد مصر بتعطيل قناة السويس. وبذلك تكون إيران قد نجحت في توسيع دائرة الصراع لتشمل إضافة إلى جهة الخليج العربي، جهات أخرى في خليج عدن، واليمن، والقرن الأفريقي، والبحر الأحمر، وخليج عمان، وشرق أفريقيا، وذلك لتأكيد طموحاتها وتأثيرها الإقليمي، وتحسين أوراقها التفاوضية مع الإدارة الأمريكية مستقبلاً عبر فرض دورها في معاذلات جديدة على الأرض، وإبعاد خطر الحرب عن حدودها، وشن حروب بالوكالة بينها وبين الولايات المتحدة⁽⁹⁰⁾.

ونتيجة لهذه العوامل والوجود الإيراني في منطقة خليج عدن وجنوب البحر الأحمر، وفي اليمن وجنوب السعودية والقرن الأفريقي، فإن المخطط الإيراني ضد مصر يصبح واضحاً في تهديد الملاحة البحرية الأولى في البحر الأحمر، وخلق قناة السويس التي تمثل بعائداتها أحد مصادر الدخل الرئيسية للعملة الحرة بالنسبة إلى مصر، فضلاً عن تطويقها من الجنوب. وهذا ما يسهل عمليات تهريب الأسلحة والذخائر والأموال إلى شمال البحر الأحمر، ذلك أن السودان ومصر على الساحل الغربي للبحر الأحمر، واليمن والسعودية على ساحله الشرقي⁽⁹¹⁾.

ولذا، توسطت قطر في حل النزاع الحدودي بين إريتريا وجيبوتي، ففتر تتمتع بعلاقات حيدة مع إريتريا، ولكن لسوء الحظ تشكت جيبوتي في أي وساطة تقوم بها دولة خليجية، لأن أي نشاط لها يسبب قلقاً في المنطقة⁽⁹²⁾.

وإن دل هذا على شيء، فإثنا يدل على أن هذا الدور الذي تقوم به قطر في شرق أفريقيا قد أتى متأخراً، بل وتلفظه دولة مثل جيبوتي، الأمر الذي يدعم قوة النفوذ الإيراني في المنطقة. فقد عرضنا سابقاً كيف استطاعت إيران أن تتمدد إلى دول شرق أفريقيا بتقديم المساعدات في المجالات السياسية والاقتصادية والعسكرية والثقافية. بل قد أدت الزيارات التي قامت بها الدولة الإيرانية، من أعلى هرم السلطة، رئيس الدولة، إلى رئيس البريطان الإيراني والوزراء الإيرانيين، دوراً كبيراً في الحضور في تلك المنطقة الإستراتيجية، منطقة شرق أفريقيا.

ويتضمن، من خلال هذا العرض، أن النفوذ الإيراني في إريتريا انعكس على الوجود الحوثي في اليمن، وبطبيعة الحال سيؤثر في الأمن القومي

الصومالي، وأن الإسلاميين الصوماليين قادة المعارضة الصومالية حالياً لهم قواعد خلفية في إريتريا. فإيران تريد من ذلك أن تنذر البلدان العربية، ولا سيما المملكة العربية السعودية، أن التهديد ليس فقط في الشرق ولكن أيضاً في الغرب، طالما أن المملكة العربية السعودية ودول الخليج العربي تناصر الولايات المتحدة الأمريكية ضد إيران⁽⁸⁶⁾.

يستخلص من ذلك أن الصحافي راشد سعيد يعقوب يستبعد أي إجراء من جانب إيران بإغلاق مضيق باب المندب، مرجحاً أن تهتم إيران أكثر بإذار المملكة العربية السعودية ودول الخليج العربي، وتطويقها شرقاً وغرباً، لتحالفها مع الولايات المتحدة ضد إيران في ما يخص برنامجها النووي. في حين أن الخبر الاستراتيجي المصري، اللواء أركان حرب متقدعاً حسام سويلم، يرى أن "تصدير الثورة "الإيرانية" له إدارة مستقلة معروفة في وزارة الخارجية وتحمل مسؤولية؛ فقد دخلوا إلى إريتريا وهي دولة فقيرة، وتطل على مدخل جنوب البحر الأحمر الذي يتحكم في قناة السويس، ومن خلاله يستطيعون تهديد اليمن والسعودية وقمrir أسلحتهم إلى السودان ومنها إلى مصر، ولهذا أنشأوا قاعدة عسكرية في إريتريا ومحطة لتكرير النفط"⁽⁸⁷⁾.

” أكدت تقارير كثيرة تقديم إيران الدعم الكامل من السلام والتدريب للمتمردين الحوثيين اليمنيين من موقع على امتداد الأراضي الساحلية الإريتيرية⁽⁸⁸⁾، وأن الدولة الإريتيرية على اتصال كبير مع الحوثيين في اليمن، بل وقد تلقى عدد من الحوثيين المصاين العلاج الطبي في إريتريا أثناء اشتباكاتهم المتكررة مع المعارضة اليمنية.

إذاً، أكدت تقارير كثيرة تقديم إيران الدعم الكامل من السلاح والتدريب للمتمردين الحوثيين اليمنيين من موقع على امتداد الأراضي الساحلية الإريتيرية⁽⁸⁸⁾، وأن الدولة الإريتيرية على اتصال كبير مع الحوثيين في اليمن، بل وقد تلقى عدد من الحوثيين المصاين العلاج الطبي في إريتريا أثناء اشتباكاتهم المتكررة مع المعارضة اليمنية. وهذه الأخبار أكدتها المعارضة الإريتيرية الموجودة في إثيوبيا⁽⁸⁹⁾، وهو

86 “Sudanese journalist comments on Iran's possible motives in Horn of Africa”, *Biyokulule on line*, 11/5/2009, accessed 15/3/2016, at: http://www.biyokulule.com/view_content.php?articleid=1888

87 ”دعوات لتطهير السودان ...“.

88 محمد، ص .468

89 “Houthi rise in Yemen....”

90 سويم.
91 المرجع نفسه.

92 ”قطر تتوسط بين إريتريا وجيبوتي لحل خلافهما الحدودي“، محيط، 2010/6/8، شوهد في 15/3/2016، في: <http://bit.ly/1WiyfBB>

تكون إريتريا هي التي قوّل الحوثيين من لقاء نفسها وهذا صحيح. ولم يذكر من قريب أو من بعيد البعد الإيراني.

2. السعودية وصعود الحوثيين

كان للمملكة العربية السعودية دور كبير - سواء عن قصد أو غير قصد - في صعود الحوثيين في اليمن. ففي سياق النفوذ الإيراني الجلي في إريتريا، وتأكيد التقارير الدولية وجود قوّيل إيراني للحوثيين في اليمن، وإشارات التهديد القوية الموجهة للأمن القومي الخليجي عامة، وقع الرئيس اليمني السابق، في الرياض، في 23 تشرين الثاني / نوفمبر 2011، اتفاق نقل السلطة في اليمن، في ضوء ما عرف بـ"المبادرة الخليجية"، والتي يرعاها مجلس التعاون الخليجي، إلى جانب دعم ورعاية من المجتمع الدولي. وقد كفلت المبادرة الخليجية حصانة لصالح وحاشيته من أي ملاحقات قضائية، وتمَّ اقتسم السلطة، وجاء عبد ربه منصور هادي نائب عبد الله صالح رئيساً. وكانت المبادرة بالنسبة إلى صالح طوق نجاة، حينما منحته حق المشاركة في حكومة وفاق بين القوى السياسية في البلد، فنال حزبه "المؤتمر الشعبي العام" 50% في حكومة الوفاق التي تم تشكيلها في 7 كانون الأول / ديسمبر 2011، وهو ما أضعف "ثورة الشباب السلمية" عام 2011. ومن هنا برزت قوّة صالح وال الحوثي، ووجد الحوثيون دعماً لوحيدياً وبشريّاً يتمثّل برجال صالح المخلصين في المؤتمر الشعبي العام، وأعلن أعضاء المؤتمر الشعبي العام "جناح صالح" مساندتهم للحوثيين.

فتحت السعودية في عام 2013، قنوات اتصال مع الحوثيين - مع أنها كانت قد خاضت ضدّهم من قبل حرباً مorte - ومخضت الاتصالات عن نقل الزعيم الحوثي صالح هبره جواً عبر لندن للقاء الأمير بندر بن سلطان الذي كان حينها مسؤول الاستخبارات السعودية⁽⁹⁴⁾. فمصالح الرياض تتلاقي مع الحوثيين في توجيهه ضربات لتنظيم القاعدة في جزيرة العرب، وفي إضعاف الإسلاميين اليمنيين، وإن كانت تتقاطع مع علاقة الحوثيين بإيران والدور الذي تقوم به طهران في اليمن،

الخليجي. إذ يمثل اليمن عمّقاً إستراتيجياً بالنسبة إلى دول الخليج، وهو ما يجعل منه عاملاً مهمّاً لأمن المنطقة واستقرارها، ومن ثم فإنّ ما يمثّل به اليمن حالياً من سيطرة الحوثيين يمثّل تهديداً مستمراً ومتسارعاً للمنطقة العربية، ومن قبلها الخليج العربي.

وعلى نقیض ما أشارت إليه تقارير الخبراء وتحليلاتهم، نجد الرئيس الإريتري أسياس أفورقي خلال مقابلة له في 3 كانون الثاني / يناير 2010، في تلفزيون الدولة الإريتري مع أحد الإعلاميين، سأله عن صحة التقارير التي تفيد أنّ إريتريا لديها علاقات مع الحوثيين "المتمردين الشيعة في اليمن"، نفى أفورقي أن تدعم بلاده المتمردين الشيعة في اليمن، وقال إنّ هذه هلlosة من الصحف القديمة البالية، مستشهداً بأنّ أحد التقارير ذكر أنّ الطائرات الإسرائيليّة قصفت منطقة على الحدود بين مصر والسودان، وذكر أنّ الطائرات أفلعت من إريتريا في حين أنّ لا أعلم بهذه الطائرات، ولا أعلم إن كانت هذه الطائرات إسرائيلية أم لا، ووصف نظيره اليمني، علي عبد الله صالح، بأنه "صديق جيد لإريتريا". كما وصف أفورقي المؤسسة الأميركيّة Military Occupational Speciality بأنّها مؤسسة مريضة حقاً، وأنّ الذين يعملون في هذه المؤسسة مرضى ومجانين - على حد قوله - واصفاً إياها بأنّها ادعاءات كاذبة، متسائلاً عن تلقيق الولايات المتحدة قضية أسلحة الدمار الشامل في العراق، وهي حتى اليوم لم تعثر على أي شيء، والآن لم يجدوا شيئاً ليبرروا للرأي العالمي لماذا أعلنوا الحرب على العراق، واصفاً وسائل الإعلام بأنّها مصدر للتحريض والخداع، متسائلاً بدھشة من هم هؤلاء الحوثيون؟ قائلاً إنّ علاقتنا مع اليمن فريدة من نوعها، وكان لدينا موقف في منتصف عام 1990، فقد وقفنا إلى جانب الحكومة اليمنية خلال الحرب بين شمال اليمن وجنوبه، ودعمنا وحدة الشعب اليمني، بل وأعطينا الطائرات اليمنية ملاذاً في مطار أسمراً خلال الحرب، وأعطيتنا الدعم السياسي والمعنوي من أجل الوحدة والاستقرار في اليمن⁽⁹³⁾.

يتضح، من خلال هذا الحوار، أنّ الرئيس أسياس أفورقي تطرق إلى علاقات إريتريا مع الحوثيين، وكأنّ التمويل تقوم به إريتريا بدافع ذاتي. ولم يتطرق الرئيس أفورقي إلى المشكلة الكبرى وهي إيران التي تمثل مصدر سلاح الحوثيين عن طريق إريتريا. إذًا، ينفي أفورقي أن

⁹⁴ ديفيد هيرست، "الارتدادات في اليمن: تقدم الحوثيين كابوس للسعوديين"، عربي 21، 2014/5/15، شوهد في 2016/10/21، في: <http://bit.ly/1XQjuFL>

⁹³ Abdul Nabi Shaheen, "Eritrea denies training rebels for Iran and Yemen", Gulf News, 21/4/2010, accessed 15/3/2016, at: <http://bit.ly/1SYmgGV>

المرور البحري للمملكة العربية السعودية والأردن، ومصر، والسودان، وإريتريا، وجيبيتي، ويمكن أيضًا أن يتأثر اليمن إذ سيصبح تابعًا إيرانيًا⁽⁹⁷⁾.

وبعد هذا الانقلاب الحوثي المدعوم من إيران، نؤكد صحة التقارير والتحليلات السابقة التي أشارت إلى تورط إيران في دعم الحوثيين في اليمن عن طريق إريتريا، وتكييف أسياس أفورقي الرئيس الإريتري الذي نفي في كانون الثاني / يناير 2010، وجود علاقات بين إريتريا وال الحوثيين، ووصف هذه التقارير والتحليلات التي تبرهن على ذلك بأنها هلوسة. ولكن ما جدّ في عام 2014 يؤكّد صحة ذلك، بسيطرة الحوثيين على العاصمة اليمنية صنعاء، ولذلك فإن الدعم الإيرياني لل الحوثيين لم يعد مجرد ظن أو تخمين، بل هو حقيقة واضحة للعيان.

3. رد الفعل الإيراني على الانقلاب الحوثي

رحبّت الجمهورية الإيرانية علنيًا بالنصر الحوثي، وقال مسؤول أمريكي يمني بارز إن إيران تدعم كثيّرًا الحوثيين الذين قاتلوا الحكومة المركزية منذ عام 2004⁽⁹⁸⁾. كما أن كبار المستشارين الإيرانيين لا يجدون أدنى حرج في نسبة الفضل في نجاح الانقلاب الحوثي إلى أنفسهم. فها هو على أكبر ولايتي - أحد مستشاري المرشد وأشد الناس ولاء له - يقول إنه يأمل أن تقوم مجموعة أنصار الله (أي الحوثيين) في اليمن بالدور نفسه الذي يقوم به حزب الله في لبنان⁽⁹⁹⁾.

كما صرّح محمد صادق الحسيني - وهو كاتب ومحلل إيراني وثيق الصلة بالنظام في طهران - في مقابلة مع قناة الميادين التلفزيونية: "نحن سلاطين البحر الأبيض المتوسط الجدد. نحن سلاطين الخليج الجدد، نحن محور المقاومة: طهران، دمشق، الضاحية، بغداد، صنعاء، نحن نصنع خريطة المنطقة، ونحن سلاطين البحر الأحمر أيضًا، تذكروا السيد حسن نصر الله، الأمين العام لحزب الله وسيد المقاومة عندما قال قبل ستين تقريرًا: نحن الآن نخرج إليكم من البحر المتوسط، ولم نخرج عليكم بعد من البحر الأحمر". وشرح الحسيني كيف أنّ المملكة العربية السعودية عبارة عن "قبيلة على وشك الانفراط"، قائلًا: "الآن العزيز أصبح هو اليمني والفقير هو السعودي، ليس

خلال فترة حكم الرئيس اليمني هادي حتى كانون الثاني / يناير 2015⁽⁹⁵⁾.

ولكن تجري الرياح بما لا تشتهي السفن. فالململكة العربية السعودية كانت تتوقع أن تحالفها مع الحوثيين ضد حزب الإصلاح اليمني، سيتمكن الحوثيين من اقتحام العاصمة اليمنية، فينتقض حزب الإصلاح مواجهة الحوثيين، قبل أن يصلوا إلى أبواب المدينة. ومن ثم سيقضي بعضهم على بعض، إلا أن الإصلاح رفض أن يتورط في هذه اللعبة، ورفض مواجهة الحوثيين، على أساس أن هذه هي مهمة الحكومة، من خلال السماح لل الحوثيين بشن هجومهم، أو على الأقل من خلال عدم التدخل بأي طريقة لوقف هذا الهجوم.

وهناك حسابات أخرى جعلت السعودية تساهم في صعود الحوثيين، فهي ترى أن حزب الإصلاح اليمني يمثل دولة داخل لا دولة، بسيطرته على المؤسسات الحكومية السيادية وعلى كتائب عسكرية وميليشيات قبلية، أمّا التيار الآخر - الحوثيون - فلا يملكون إلا القوة العسكرية، ولكن ليس لهم جذور في مؤسسات الحكم في اليمن. ولكن السعودية ترى أن التيار الأول، حزب الإصلاح، أخطر بسبب عمّق وجوده في الدولة، وفي الجيش، بل تراه قادر على تهديد الأمن القومي الإقليمي. لذا، ترى أن هناك تهديداً فعلياً من الإصلاح، وتهديداً كاماً غير نشط من الحوثيين. فمن هنا اتخذت إستراتيجية القضاء على التهديد الفعلي، ثم التفرغ للقضاء على التهديد الكامن، اعتقاداً منها أن الحوثيين ليس لديهم إلا خيار المشاركة مع الأطراف اليمنية الأخرى، وهناك أطراف يمنية متعددة لن تسمح لل الحوثيين بالسيطرة الكاملة، وستفرض عليهم المشاركة في الحكم⁽⁹⁶⁾.

وبهذا دق جرس الإنذار ملتفاسي إيران من الدول السنية الإقليمية، وخاصة المملكة العربية السعودية، بسيطرة الحوثيين على صنعاء في أوليول / سبتمبر 2014. فقد أصبح الحوثيون قادرین على ترسیخ سيطرتهم على الشق الجنوبي في شبه الجزيرة العربية، المطل على البحر الأحمر، وبطبيعة الحال سيؤدي ذلك إلى خلق خطير على حركة

95 "الدور السعودي-الأمريكي في اليمن"، فجر البحرين، 1/1/2015، شوهد في 15/3/2016، في:

<https://www.fajrbh.com/vb/threads/97918/page-12>

96 عبد الله حميد الدين، "هل هناك تهديد حوثي على الأمن القومي السعودي؟"، الحياة، 29/9/2014، شوهد في 15/3/2016، في:

<http://www.alhayat.com/Opinion/Abdullah-hameed-Al-Deen/4822503/>

97 Ariel ben Solomon, "What threat does an Iranian-backed Yemen pose to Israel?", *Jerusalem Post*, 23/12/2014, accessed 15/3/2016, at:

<http://www.jpost.com/Middle-East/Analysis-What-threat-does-an-Iranian-backed-Yemen-pose-to-Israel-385467>

98 Ibid.

ومن خلال ردات أفعال الجانبين، اتضح أنَّ الانقلاب الحوثي تم بتمويل إيراني، وتؤكد ذلك ردات الأفعال الإيرانية التي أرجعت إلى إيران الفضل في نجاحه، وفي المقابل تولَّ سخط خليجي عام، وسعودي خاصة، وعدم اعتقادهم بالحوثيين بل ودعم خليجي للرئيس اليمني المستقيل عبد ربه منصور هادي.

وقد صرَّح المحلل الاقتصادي محمد عبده العبسي لصحيفة "الشرق الأوسط" بأنَّ سيطرة أي جماعات مسلحة على منطقة باب المندب كارثة ينبغي عدم السكوت عليها، وتمثل تهديداً للأمن الإقليمي عام، وأنَّ إيران تسعى منذ سنوات إلى تحقيق هدفها الإستراتيجي المتمثل بالتحكم في الممرات المائية الإستراتيجية المحيطة بالوطن العربي. فهي تسيطر على مضيق هرمز الذي يمرُّ عبره أكثر من 5 ملايين برميل نفط يومياً، وتحاول الآن السيطرة على باب المندب الذي يمرُّ عبره 3 ملايين برميل نفط يومياً، إضافة إلى أنه ممر للتجارة الدولية تستخدمة لتوصيل الشحنات والبضائع إلى جميع الدول المطلة على البحر الأحمر، فضلاً عن أنَّ باب المندب هو حلقة الوصل بين الشرق والغرب في التجارة الدولية⁽¹⁰⁷⁾.

ويرى العبسي أنَّ سيطرة الحوثيين على باب المندب سيكون لها تأثيراً كارثياً في جميع دول العالم التي تستخدم المضيق. لكنَّ المتآثر الأكبر هو دول الخليج التي ستكون تحت رحمة إيران، والتي ستكون هي المتحكم في الملاحة الدولية من الشرق في بحر الخليج والغرب في البحر الأحمر⁽¹⁰⁸⁾.

ولذا، يمكننا حصر أبرز الانعكاسات والتداعيات الذي يمثلها النفوذ الإيرياني في منطقة شرق أفريقيا على الأمن القومي الخليجي، في التالي:

- نجاح النفوذ الإيرياني في إريتريا ساعد إيران على أن تتخذ إريتريا محطة لإمداد الحوثيين في اليمن بالمساعدات العسكرية، وترتَّب عليه نجاح الحوثيين في السيطرة على العاصمة اليمنية صنعاء، وهذا يمثل أكبر تهديد لأمن دول مجلس التعاون الخليجي واستقرارها، بل من الممكن أن يُحدث تغييرًا في معادلة التيارات الشيعية في منطقة الخليج ككل، بل سيفوض دول الخليج في مرمى أهداف المطامع الحوثية، وهو الأمر الذي يؤثُّر بالتبني في الأمان القومي المصري.

- إنَّ سيطرة الحوثيين على اليمن، تعدَّ تمهيداً لأنَّ تصبح إيران قوة إقليمية مؤثرة في المنطقة. ولذلك، على المحور السُّيُّي المتمثَّل بدول الخليج ومصر اتخاذ إجراءات ملموسة لمواجهة النفوذ الإيرياني في إريتريا على الأخص. فإيران تتمتع بنفوذ قوي في السودان التي تمثل الحدود الجنوبية لمصر، ولكن الجانب المصري لم يتَّخذ أي إجراء، وعلى الجانب الآخر، نجد أنَّ إيران تتمتع أيضاً بنفوذ قوي

بالمال والأسلحة والارتباطات الدولية، وإنما في صناعة الجغرافيا السياسية وفي صناعة التاريخ. الآن نحن في حالة تحول⁽¹⁰⁰⁾.

في حين صرَّح عوزي رابي - مدير مركز موشي ديان لدراسات الشرق الأوسط في جامعة تل أبيب - أنَّ إيران ترى نفسها قوَّة مهيمنة في المنطقة، وأضاف أنَّ مسؤول الحرس الثوري الإيرياني قال: "إنَّ جمهورية إيران الإسلامية تسيطر الآن على أربع عواصم عربية صنعاء وبيروت وبغداد ودمشق"⁽¹⁰¹⁾.

4. ردة الفعل الخليجي على الانقلاب الحوثي

تمثل ردة الفعل الخليجي - على الانقلاب الحوثي في اليمن - في عقد قمة دول مجلس التعاون الخليجي في 9 كانون الأول / ديسمبر 2014 بالدوحة، وأكَّد الزعماء الخليجيون دعمهم الرئيس اليمني المستقيل عبد ربه منصور هادي في تحقيق الأمن والاستقرار، وبسط سيطرة الدولة في اليمن، وفي قيادة عملية الانتقال السلمي للسلطة، من خلال التزام المبادرة الخليجية وأليتها التنفيذية، وأدانوا كل أعمال العنف لتحقيق أهداف سياسية، وطالبوها "بالانسحاب الفوري للميليشيات الحوثية من جميع المناطق التي احتلتها، وإعادة جميع مؤسسات الدولة المدنية والعسكرية لسلطة الدولة، وتسلِّم ما استولت عليه من أسلحة ومعدات"⁽¹⁰²⁾.

كما أعلنت السعودية أنها تراقب الأمر عن كثب، وتعدَّ الأمن في اليمن جزءاً من أمنها الوطني وأمن دول مجلس التعاون الخليجي. وأنَّ ما يحصل حالياً من انقلاب على السلطة الشرعية، واعتداءات متعددة، وسيطرة على مؤسسات الدولة ومرافقها من الحوثيين، هو تهديد خطير للمنطقة بكاملها⁽¹⁰³⁾. كما علقت الرياض مساعداتها الموجهة إلى اليمن، رفضاً للنفوذ الحوثي المتزايد⁽¹⁰⁴⁾. وقامت بخفض أسعار النفط، ما جلب أضراراً ضخمة إلى إيران⁽¹⁰⁵⁾.

هذا الأمر جعل يد الله شيرمardi (المقرب من خامنئي) يصرَّح "بأنَّ صبر إيران تجاه أنظمة في المنطقة له حدود، السعودية تلجلج إلى سلاح النفط لمحاربة إيران، وبهذا ترتكب انتهاكاً سياسياً، إنَّ التصرف السعودي سيفرض تغييرًا على كل دول الخليج وأنظمةه"، مشيراً إلى أنَّ "كل طرق مرور النفط بدءاً من باب المندب والسويس حتى مضيق هرمز تحت سيطرة إيران"⁽¹⁰⁶⁾.

100 المرجع نفسه.

101 Ben Solomon.

102 "الدور السعودي - الأمريكي...".

103 المرجع نفسه.

104 Ben Solomon.

105 Ibid.

106 "الدور السعودي - الأمريكي...".

107 "مُصادرٌ مُنَيَّةٌ ...".

108 المرجع نفسه.

ولذا، فقد أصبح العمل الخليجي المشترك الجاد ضرورة قومية ملحة، لأنّه موقع ملائم في السياسة الأفريقية بأركانه الدبلوماسية، وذلك بتنشيط مكاتب الجامعة العربية ونشرها في العواصم الأفريقية، وبمشاركة الأمانة العامة لمجلس التعاون لدول الخليج العربي. ولا بد من تجديد الدم في عروق رابطة العالم الإسلامي والمنظمات التابعة لها، والتي "كان" لها نشاط مميز في نشر الدعوة الإسلامية، وتفعيل الأهداف السامية للتضامن الإسلامي في القارة الأفريقية⁽¹⁰⁹⁾.

كما أنّ دولة مثل السودان من الممكن أن تُتّخذ منصة أو جسراً للعبور إلى دول شرق أفريقيا جمِيعاً، لا سيما أن هناك مسؤولين سودانيين ينتقدون بشدة النفوذ الإيراني في السودان. فيجب توفير دعم خليجي قوي للدولة السودانية، يستطيع المسؤولون من خلاله أن يفضلوا التعاون الخليجي على التعاون الإيراني. فها هو وزير الخارجية السوداني علي كري ينتقد الحكومة السودانية لسماحها برسو السفن الحربية الإيرانية في ميناء بورتسودان، قائلًا: "إنه لم يتم التشاور معهم حول هذه المسألة"، بل ويحدُّر كري "من أنّ مثل هذه الخطوة من شأنها أن تؤثّر في علاقات الخرطوم مع دول الخليج، خاصة وأنّ السودان تعتمد على المساعدات، بل وتكافح من أجل التغلب على ديون 38 مليار دولار، خاصة بعد انفصال الجنوب الغني بالنفط"⁽¹¹⁰⁾.

ويرى كري أنّ واحدة من دول الخليج التي تراقب عن كثب علاقات السودان مع إيران هي الكويت التي تعهدت بـ 500 مليون دولار من المساعدات، و450 مليون دولار من القروض و50 مليون دولار منحة للسودان. وفي شهر تشرين الأول / أكتوبر 2012، أشاد كري بالعلاقات الاقتصادية والسياسية بين السودان والكويت. ومع ذلك، حدّرت صحيفة القبس الكويتية من أنّ الخرطوم بدت "غير مبالية" بالمخاطر التي تتعرّض لها علاقاتها مع دول الخليج، إذا استمرت في الاستفادة من سياسة إيران "اليد الممدودة"⁽¹¹¹⁾.

كما على دول الخليج استغلال الصفة التي وجّهتها السودان إلى إيران في أيلول / سبتمبر 2012. فقد أعلن القادة الستة غلق المراكز الثقافية التي تدعمها إيران، وطرد دبلوماسي ومبعوثين آخرين، ومنحهم 72 ساعة لغادرة البلاد. ويشير القرار إلى أنّ القادة الستة في السودان قلقون قلقاً متزايداً من نفوذ القوّة الشيعية الإيرانية في السودان. وفي الوقت نفسه، ناشدت حكومة الرئيس عمر حسن البشير لملكة العربية السعودية وغيرها من دول الخليج الحصول على مساعدات اقتصادية لمواجهة

¹⁰⁹ انظر: عبد الإله بن سعود السعديون، "تحذير من التغلغل الإيراني في إفريقيا"، الجزيرة، 11/11/2012، شوهد في 15/3/2016، في: <http://www.al-jazirah.com/2012/20121105/du9.htm>

¹¹⁰ "Sending our warships ...".

¹¹¹ Ibid.

- في إريتريا المواجهة لليمن المجاورة للسعودية، من دون أن تتحرك السعودية لتقديم مساعدات لإريتريا لضرب هذا النفوذ الإيراني. إذًا، فإنّ إيران في طريقها لتطويق المحور السني المصري - الخليجي.
 - كما أنّ سيطرة الحوثيين على العاصمة صنعاء، سيُعطي شيعة المنطقة الشرقية في السعودية بصيغة من الأمل، وكذلك الأغلبية الشيعية في البحرين، وسيمثل هذا دافعاً لإذكاء النزعة الطائفية، وعمليات التقسيم التي آلت إليها العديد من دول المنطقة.
 - سيطرة الحوثيين على الدولة بهياكلها السياسية كلها - بفضل إيران وإريتريا - يمكن أن ترتب عليها العديد من التداعيات الأمنية على دول مجلس التعاون الخليجي. إذ يمثل اليمن ظهيراً أميناً لكل من المملكة العربية السعودية وسلطنة عمان، من خلال حمايته حدودهما، البرية الجنوبية بالنسبة إلى السعودية، والغربية بالنسبة إلى سلطنة عمان.
 - في حالة إقامة دولة حوثية مستقلة في اليمن أو حتى انفصلت محافظات الجنوب، فسيكون لإيران موطئ قدم إستراتيجي مهمٌ و مباشر على مضيق هرمز إلى بحر العرب. هذا فضلاً عن أنّ موقع اليمن الجغرافي المميز على طريق الملاحة الدولية من شأنه أن يمكّن إيران من تعطيل جزء مهمٍ من خطوط الملاحة الدولية، ومن ثم الإضرار بالصالح الخليجي والغربي في المنطقة.
 - وبناء عليه، فمن مصلحة دول المجلس الحفاظ على اليمن دولة موحدة مستقرة. ويكون هذا من خلال بلوغ رؤية أمنية موحدة، تحافظ بها على وحدتها من التداعيات السلبية للوجود الحوثي في اليمن بهذه الصورة المخيفة لكل دول المنطقة.
- ### ثالثاً. نحو رؤية خليجية لمواجهة التحرك الإيراني في إفريقيا
- من المؤكّد أنّ الوجود العربي بوجه عام، والخليجي بوجه خاص، في القارة الأفريقية يكاد أن يكون معطلًا. فلا بد من صحوة عربية خليجية جادة ومؤثّرة، ملء جسور جديدة مع دول القارة الأفريقية جميعها، وذلك لمواجهة التغلغل الإيراني في إفريقيا عامة وشرق إفريقيا خاصة، وقد انتشر في تلك المنطقة انتشار النار في الهشيم. كما أنه لا بد من وجود خليجي حقيقي سياسياً واقتصادياً وعسكرياً في منطقة القرن الأفريقي، مما تمثّله هذه المنطقة من أهمية إستراتيجية للأمن القومي الخليجي. فمن المستغرب جدًا أن تكون سفارة عربية واحدة فقط في "موروني" عاصمة جزر القمر العربية، ورئيس جمهوريتها زعيم التشريع الجديد في هذه الجزر العربية، وتلقى تعليميه في حوزة قم على نفقة إيران.

للتحكم في مضيق باب المندب، ومنع الحوثيين باليمن من السيطرة على باب المندب والمنفذ البحري المطلة على البحر الأحمر⁽¹¹⁴⁾.

- تفعيل برنامج الزيارات - أسوة بإيران - بداية من رئيس الدولة مروأً بالوزراء، وخاصة وزراء الدفاع، لدراسة الأوضاع الأمنية جيداً في شرق أفريقيا، حتى يتسمّى لهم معرفة المناطق التي ترَكَ عليها الدولة الإيرانية للحصول على تسهيلات عسكرية، وصولاً إلى رجال الأعمال من الجانبين.

خاتمة

وخلاصة القول، إنَّ الجمهورية الإيرانية استطاعت بالفعل أن تتغلغل في منطقة شرق أفريقيا، منذ التسعينيات، وازداد موقع القارة الأفريقية عامةً - مع وصول الرئيس السابق أحمدي نجاد إلى سدة الحكم في عام 2005 - أهمية في السياسة الخارجية الإيرانية، الأمر الذي يدلُّ على إدراك الخارجية الإيرانية المناطق المؤثرة في المنطقة العربية. فإيران الآن تصول وتتجول في العالم العربي، ثم انتقلت إلى القارة الأفريقية، وكأنها تريد تطبيق المنطقة العربية بوجه عام والخليج بوجه خاص. ونقول لقد نجحت إيران بالفعل في تنفيذ إستراتيجيتها والوصول إلى منطقة البحر الأحمر وخليج عدن، وهو ما يعُدُّ أكبر تهديد للأمن القومي لمنطقة الخليج العربي من ناحية، ومصر من ناحية أخرى. والآن بدأت منطقة الخليج تلمس ذلك التهديد بعد سيطرة الحوثيين على صنعاء العاصمة اليمنية. فنجاح النفوذ الإيراني في شرق أفريقيا بوجه عام، وإريتريا بوجه خاص، ساعد إيران على أن تتخذ إريتريا محطة لإمداد الحوثيين في اليمن بالمساعدات العسكرية، وترتب عليه نجاحهم في السيطرة على العاصمة اليمنية صنعاء.

العقوبات الغربية بسبب الصراع في إقليم دارفور، وتوقعت الواشنطن بحسب أنَّ هذه التوترات سوف تمتَّد إلى شؤون العسكرية⁽¹¹²⁾.

كما يتطلب تدعيم الأمن القومي الخليجي الاعتماد على عدد من الركائز الواقعية والعملية، لتغيير الواقع السلبي في العلاقات بين دول الخليج وشعوب منطقة شرق أفريقيا، ومن بين هذه الركائز:

- تأسيس حوار إستراتيجي خليجي مع دول الشرق الأفريقي عامة وإريتريا خاصة، بمفاهيم وصيغ جديدة. فقد تم تجاوز المرحلة التي قام فيها هذا الحوار على أساس المقايسة والمنافع السياسية المتبادلة، ومن ثم يجب الدخول في مرحلة جديدة تُؤسّس على إقامة شراكة عربية Africaine حقيقة، قوامها المصالح الإستراتيجية المشتركة، والقضايا ذات الحساسية لكل من الطرفين.
- الاهتمام بمنظومة الأمن في البحر الأحمر، على أنه ممرٌّ التفاعل الرئيس بين العرب عامة والقرن الأفريقي. ويقتضي هذا الأمر أن تكون مصر والسودان واليمن آلية إقليمية لتحسين بيئة الأمن في البحر الأحمر، ودعم علاقات الجوار مع القرن الأفريقي.
- ضرورة التوسيع في إقامة الاستثمارات والمشروعات الاقتصادية المشتركة، ليحل محلَّ أسلوب المنح والهبات المالية ذات الطابع التقليدي؛ ذلك أنَّ أثر هذه المشروعات أكبر في تعميق الصلة الحقيقية بين دول الخليج والأفارقة⁽¹¹³⁾.
- ضرورة إعلان دول مجلس التعاون الخليجي، والتي تضمُّ الإمارات والكويت وال السعودية والبحرين وقطر وعمان، تشكيل قوة عسكرية بحرية مشتركة بالتنسيق مع الجيش المصري والبحرية المصرية للسيطرة على حركة الملاحة بالبحر الأحمر، ونشر قوات بحرية عربية

¹¹² Brian Murphy, "Sudan pushes back against Iran: Cultural centers closed, envoys banished", *The Washington Post*, 2/9/2014, accessed 15/3/2016, at:
<http://wapo.st/1p8cRBv>

¹¹³ نجلاء مرعي، "إيران والنفوذ المتصاعد في (القرن الأفريقي)... في ظل الغياب العربي"، الراصد، 2012/6/20، شوهد في 15/3/2016، في:
http://alrased.net/main/articles.aspx?selected_article_no=5724

المصادر والمراجع

- "إيران والنفوذ المتصاعد في 'القرن الأفريقي'", مجلة البيان، 15/2/2016.
- "نشاط إيران في شرق إفريقيا بوابة الشرق الأوسط والقارة الإفريقية", إعداد مركز المعلومات حول الاستخبارات والإرهاب، مجلة قراءات أفريقية، العدد 5 (حزيران / يونيو 2010).
- حميد الدين، عبد الله. "هل هناك تهديد حقيقي على الأمن القومي السعودي؟", الحياة، 29/9/2014.
- خزار، فهد مربان. "التوجه الإيرلندي إزاء أفريقيا: رؤية جيوبوليتيكية", مجلة دراسات إيرانية، جامعة البصرة، العدد 14 (2011).
- الدینی، یوسف عبد الله. "انهیار الیمن الواحد بحروب طائفية انقلابية: الحوثيون «حزب الله» الجديد", المجلة، 10/10/2014.
- صالح، جلال الدين محمد. "القرن الأفريقي.. أهميته الإستراتيجية وصراعاته الداخلية", مجلة قراءات أفريقية، المنتدى الإسلامي (لندن)، العدد 1 (2004).
- عبد الحليم، إيمان أحمد. "اختراقات مذهبية: مخاطر تنامي النفوذ الإيراني في اليمن", السياسة الدولية، 7/5/2014.
- محمد، سها إسماعيل. "الدور الإيراني في أفريقيا (2012-2013)", التقرير الإستراتيجي الأفريقي 2012 / 2013، صبحي قنصوه ونادية عبد الفتاح (محران)، مركز البحوث الأفريقية، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة، (يوليو 2014).
- ناصر، نقولا. "اريتریا: بوابة إیران إلى الیمن والحوثین?", مجلة المحرر، العدد 286، السنة 18 (2010).